

تمهيد

حياة الزجّاجي (١)

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق . ولد بنهاوند - جنوبي همدان - وطاف كثيراً من البلدان، فنزل بغداد حيث لقي أستاذه إبراهيم بن السري الزجّاج فلزمه حتى نسب إليه . وسافر إلى الشام فأقام بحلب مدة ثم غادرها إلى دمشق حيث درّس وأملئ . ثم غادرها إلى طبرية ومات بها سنة ٣٣٧ هـ على أرجح الأقوال . فكانت حياته إذآ في عصر المقتدر وابن المعتز والقاهر والراضي والمتقي والمستكفي ومات في خلافة المطيع حين كانت مقاليد الحكم بيد بني بويه .

وكان الزجّاجي شديد الوله بالعلم أكثر من الأخذ عن علماء عصره فسأخذ عن الزجاج ، ومحمد بن رستم الطبري ، وابن كيسان ، وابن شقير ، وابن الخياط وابن السراج ، والأخفش وغيرهم (٢) وتخرج على يده عدد من التلاميذ أكثرهم دمشقيون .

وكانت ثقافته نموذجاً من ثقافة العلماء في القرن الرابع . ذلك القرن الذي حفل بنتاج خصب للعقلية الإسلامية في أوج نضجها ورقبها . فكان من أكثر العلماء طلباً للعلم وأنشطهم في التأليف وكانت تأليفه شاملة للنحو والصرف واللغة وحروف الهجاء والمعاني والعروض والأدب . وكان عارفاً ببعض اللغات المعروفة في

(١) تجد للزجاجي تراجم في : انباه الرواة ٢ : ١٦٠ وبغية الوعاة : ٢٩٧ وشذرات الذهب ٢ : ٣٥٧ وطبقات الزبيدي : ١٢٩ والفهرست : ٨٠ ومراة الجنان ٢ : ٣٣٢ ونزهة الالبا : ٣٧٩ والنجوم الزاهرة ٣ : ٣٠٢ ووفيات الاعيان ١ : ٣٨٩ وإشارة التعيين : الورقة ٢٦ - والاكمال لابن ماكولا ٢ : ١٠٢ الورقة ١١ والانساب للسمعاني : ٢٧٢ وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٩ : الورقة ٤٣٢ وتلخيص ابن مکتوم : الورقة ١٠٤ .
ولنا كتاب عنوانه « الزجّاجي ، حياته وآثاره ومذهبه النحوي ، طبع بدمشق سنة ١٩٦٠ .

(٢) أنظر حديث الزجّاجي عن شيوخته في ص (١/١٩) من الايضاح .

عصره وقد ذكر ذلك ولكنه لم يعين هذه اللغات فقال في معرض كلامه على أقسام الكلام وأنها لا تخرج عن اسم وفعل وحرف « وقد اعتبرنا ذلك في عدة لغات عرفناها سوى العربية فوجدناه كذلك (١) » .

وكانت ثقافته موضع احترام القوم في عصره . فقد أثنوا عليه وعتوا على تصانيفه حتى ظهر الفارسي وابن جنى فأخلاه . وما وجدت أحداً من العلماء تكلم عليه بسوء أو وجد إلى الطعن فيه سبيلاً غير أبي علي الفارسي الذي قال حين وقف على بعض مسائله في النحو « لو سمع الزجاجي كلامنا في النحو لاستحيا أن يتكلم فيه » (٢) وما أظن هذا القول - إن صح صدوره عن الفارسي - إلا مجافياً للعدل والصواب فكتب الزجاجي شاهدة بعلمه والعلماء مقرّون بفضله حتى ان ابن الأنباري عدّه في طبقة الفارسي نفسه اللهم إلا أن تكون لقولة الفارسي دوافع نفسية من عداوة الصنعة والحط من قيمة المتقدمين فيها حرصاً على مكان الصدارة . وليس هذا بغريب عن الفارسي ، فقد قال مثل هذا القول في حق أبي الحسن الرماني، فزعم أنه إن كان النحو ما عند الرماني، فليس عنده منه شيء، وإن كان النحو ما عنده فليس عند الرماني منه شيء (٣) . أضف إلى ذلك حب الفارسي لسيبويه وتعصبه له وسخطه على مخالفيه ، والزجاجي لم يكن يقبل كل آراء سيبويه ، بل لقد خالفه في بعضها وقال في بعض المسائل بغير رأيه (٤) .

وأما مذهب الزجاجي في النحو ، فهو مذهب تلك الطبقة من العلماء الذين جاءوا على أعقاب ثعلب والمبرد وجمعتهم حلقات العلم في مساجد بغداد وقصورها . ففترت لديهم حدة التعصب ، وبسطوا المذهبين وأخذوا من كل بطرف مع تفاوت في مقدار ما يأخذون .

(١) الايضاح ص (٥/ب) .

(٢) انباء الرواة ٢ : ١٦٠ ونزهة الالبا : ٣٧٩ .

(٣) ناقشنا هذا القول في كتابنا « الرماني النحوي » ص ٧٣ وما بعدها .

(٤) انظر مثلاً باب الصفة المشبهة في كتاب الجمل .

وقد أخذ الزجاجي عن علماء بصريين وعلماء كوفيين وأخذ عن آخرين ممن جمعوا بين المذهبين وأحاطوا بالقولين . فكان مثلهم في الجمع والاحاطة وكان كشيخه الزجاج في ميله إلى البصرة والأخذ برأيها في أكثر الأحيان . على أنه لم يكن متعصباً ولا مقلداً ، وإنما كان حر الفكر مستقل الرأي مع سماحة في النفس ونبل في الخلق . فلم يمنعه هواه البصري من عرض احسن حجج الكوفيين واستعمال بعض مصطلحاتهم والاعتراف بفضل أساتذته منهم .

وأما أسلوبه فأسلوب العالم المتزن . الطويل النفس . الخبير بأساليب الحوار والجدل . يعرض المسألة بإيجاز ويورد احسن ما قيل فيها من الآراء والحجج ، ثم ينقد ويقوّم فيضعف وينقض او يقوّي ويستحسن سالكاً سبيل المنطقيين في إيراد حجج الخصوم بغية هدمها وإقامة الرأي على أنقاضها . ويمتاز الزجاجي بالدقة والامانة في النقل والرواية . فلا يذكر شاهداً إلا معزواً إلى قائله ولا خبراً إلا مصحوباً بسنده . كما نرى في أماليه . وحسبنا دليلاً على دقته وأمانته وتواضعه انه سئل سؤالاً فكتب في الجواب : « وليست هذه المسألة مسطرة لأصحابنا في شيء من كتبهم . وهي مسطرة في كتب الكوفيين . ولكني سألت عنها ابا بكر ابن الخياط وابن شقير فاجاباني بما ذكرته لك ... » (١)

مؤلفات الزجاجي

ألف الزجاجي في شتى علوم اللغة والأدب . ولكن مؤلفاته لم تصل إلينا كلها ، وما وصل منها لم يطبع إلا أقله وما زال سائره ينتظر الجهد والعزيمة . ونعرف فيما يلي كلا منها بما عرفناه عنه :

١ - كتاب الجُمَل : كتاب في النحو واسع الشهرة . تحدثوا عنه اكثر

مما تحدثوا عن صاحبه . صنفه الزجاجي بمكة وطار ذكره بين الناس « واكثروا من استعماله ودراسته والزموا انفسهم حفظه ودرأيته^(١) » وعولوا عليه في دراسة النحو حتى ظهر الفارسي وابن جنى فشغلاهم بكتبهما . قال القفطي عن الجمل : « وهو كتاب المصريين وأهل المغرب وأهل الحجاز واليمن والشام إلى أن اشتغل الناس باللمع^(٢) لابن جنى والإيضاح^(٣) لابي علي الفارسي^(٤) » .

وهذه القيمة للكتاب هي التي تفسر لنا ازدحام العلماء على شرحه والتعليق عليه حتى وضع له في المغرب مئة وعشرون شرحاً^(٥) وقالوا على انه كتاب جيد لولا طوله بكثرة الأمثلة وليس قولهم هذا بمصيب ولكنه حكم تناقاره ولم يحصوه فالحق ان الكتاب جيد ومن تمام جودته وضوح امثلته .

وقد طبع الجمل سنة ١٩٢٦ على نفقة كلية الآداب في الجزائر وحققه الشيخ ابن ابي شنب، وصورت هذه الطبعة في باريس سنة ١٩٥٧ ، والكتاب بعد ذلك نسختان كبرى وصغرى . ولم يتكلم احد على الصغرى غير ابن بابشاذ الذي شرحها والف كتاباً في الزيادة التي بين الصغرى والكبرى^(٦) ولم يطبع شيء من شروح الكبرى على ما اعلم مع ان المكتبات احتفظت لنا بعدد كبير من هذه الشروح .

٢ - الأمالي : امالي الزجاجي مجموعة أخبار ينتقل القاريء فيها من تفسير آية من القرآن إلى خبر تاريخي ومن شعر ابن أبي ربيعة إلى رثاء ابن أبي دؤاد .

(١) مقدمة وشي الحلل .

(٢) اللمع لابن جنى كتاب صغير في النحو منه نسخة في دار الكتب المصرية رقمها ١٧١٩ نحو .

(٣) الايضاح كتاب في النحو لابي علي الفارسي منه نسخة في دار الكتب المصرية رقمها ١٠٠٦ نحو .

(٤) انباه الرواة ٢ : ١٦١ .

(٥) شذرات الذهب ٢ : ٣٥٧ ومرآة الجنان ٢ : ٣٢٢ .

(٦) مقدمة الجمل .

ولولا أن النزعة اللغوية غالبية عليها شرحاً واستشهاداً واسناداً لقلت إنها مجموعة أخبار لا نظام لها . ولعل ذلك يعود إلى أن الشيخ كان يملئ هذه الأخبار على طلابه فكان لكل درس أخباره ونصومه على نحو ما كان يدور في الدروس القديمة التي تعرف بالمجالس .

وللأمالي أكثر من نسخة . فنها الأمالي الكبرى ومنها الوسطى ومنها الصغرى ولعل الصغرى هي التي طبعت في مصر سنة ١٣٢٤ بتحقيق الاستاذ أحمد الأمين الشنقيطي لأننا لا نجد فيها ما نقله البغدادي في خزنة الأدب^(١) عن الأمالي الوسطى ولا كثيراً مما نقله السيوطي في الأشباه والنظائر^(٢) .

٣ - كتاب الإيضاح في علل النحو .

وهو الكتاب الذي حققناه وقد وردت في الجمل إشارات تدل على أن الزجاجي ألفه قبل كتاب الجمل^(٣) المذكور .

٤ - شرح مقدمة أدب الكاتب^(٤) .

وهو كتاب شرح فيه الزجاجي خطبة ابن قتيبة في « أدب الكاتب » شرحاً عني فيه باللغة والنحو والصرف .

٥ - مختصر الزاهر^(٥) .

والزاهر في معاني الكلام الذي يستعمله الناس كتاب لأبي بكر

(١) خزنة الادب ٢ : ١٠٩ .

(٢) تجد ما في الاشباه والنظائر ٣ : ٢٢ ، ٢٣ ، في الامالي : ٣٩،٧٦ .

(٣) أنظر مثلا الجمل ص ٢٦٤ .

(٤) من هذا الكتاب نسخة خطية في دار الكتب المصرية رقمها ٣٩ ش أدب ونسخة في اسطنبول وفي معهد المخطوطات صور عن هاتين النسختين .

(٥) منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية رقمها ٥٥٧ لغة .

ابن الانباري . وقد شرحه الزجاجي واختصره فحذف منه الشواهد وتعليق
ابن الأنباري عليها ورد عليه آراءه الكوفية وأحل محلها ما يقابلها من آراء
البصريين .

٦ - اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها
من اللغات والمصادر والتأويل (١) .

وهو كتاب أحصى الزجاجي فيه أسماء الله تعالى وتحدث عما يتصل بكل
منها من المعنى واللغة والاشتقاق .

٧ - كتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر . وقد حققه الأستاذ عز الدين
التنوخى ، ونشره المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٦٢ . وهو يبحث في
تبادل الحروف بعضها مع بعض وتعاقبها وتناظرها .

٨ - كتاب اللآمات .

وقد جمع الزجاجي فيه مواقع اللآمات في القرآن الكريم وكلام العرب .
وشرح معانيها شرحاً مؤيداً بالحجج والشواهد . وقد حققناه ونشره مجمع
اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٩ .

٩ - شرح كتاب الألف واللام للمازني .

ذكر هذا الكتاب في بغية الوعاة وكشف الظنون وعيون التواريخ . ولكني
لم أجد نسخة منه ولا وصفاً له .

١٠ - المخترع في القوافي .

ذكره السيوطي وقال إنه وقف عليه (٢) وذكر في كشف الظنون وفهرست
ابن النديم وعيون التواريخ .

(١) منه نسخة في دار الكتب المصرية رقمها ٣ ش لغة ٠ وذكر في اشارة
التعيين باسم شرح أسماء الله تعالى الورقة : ٢٦ .

(٢) بغية الوعاة : ٢٩٧ .

١١ - كتاب الهجاء .

لم يشر إليه أحد غير الزجاجي نفسه في كتاب الجمل (١) .

١٢ - كتاب المجموع في معرفة أنواع الشعر وقوافيه (٢) .

١٣ - كتاب معاني الحروف .

لم ينسب أحد إلى الزجاجي كتاباً بهذا الاسم غير ابن خنيزار الإشبيلي (٣) .

على أن بروكلمن عدّ بين كتب الزجاجي كتاباً باسم « حروف المعاني » .

ويجب أن أنه هنا على أن القفطي قال « إن لأبي علي الفارسي كتاب الأغفال فيما أغفله الزجاجي في المعاني (٤) وكان في قوله هذا نقص وخطأ . أما النقص فلأنه كانت يجب الإشارة إلى أن الأغفال كتاب في معاني القرآن . وأما الخطأ فلأن الأغفال تعقيب على كتاب : معاني القرآن وإعرابه « لأبي إسحاق الزجاج لا لأبي القاسم الزجاجي » (٥) .

١٤ - شرح رسالة سيويه .

لم يشر أحد من الباحثين إلى هذا الكتاب على كثرة عنايتهم بكتاب سيويه وما يتصل به والذي ذكره إنما هو صاحبه نفسه . وقد أعاد ذكره غير مرة في كتاب « الإيضاح في علل النحو » وهذا الكتاب شرح للصفحات الأولى من كتاب سيويه .

(١) أنظر باب الافعال المهموزة في كتاب الجمل .

(٢) فهرسة ابن خنيزار . ٣١٤ .

(٣) المصدر السابق ٣١٩ .

(٤) انباه الرواة ١ : ٢٧٤ .

(٥) نذكر زيادة في الايضاح أن للاغفال نسختين احدهما في مكتبة

الاقواف بطرابلس الغرب رقمها (خزانة ا ، ف ٤ رقم ٩٤) والثانية في دار الكتب المصرية رقمها ٥٢ تفسير ، وقد ذكر ابن خنيزار كتاب الاغفال بنسبته الصحيحة في فهرسته ص ٣١٠ كما ذكر معاني القرآن واعرابه للزجاج في ص ٦٤ .

وبمناسبة الخلط بين الزجاج والزجاجي يجدر أن أنه على أن الكثير من فهارس المكتبات العامة ذكرت كتاب « فعلت وأفعلت » منسوباً إلى الزجاجي

- ١٥ - مجالس العلماء . وقد نشرته وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت سنة ١٩٦٢ ، بتحقيق الاستاذ عبد السلام محمد هارون .
- ١٦ - الاذكار بالمسائل الفقهية .
- وهو مجموعة مسائل نحوية تتصل بالفقه جمعها السيوطي في الأشباه والنظائر (١) .
- ١٧ - رسالة في بيان الأسئلة الواردة على البسمة وأجوبتها (٢) .
- ١٨ - مسائل متفرقة .
- وهي إحدى عشرة مسألة جمعها الزجاجي وبعث بها في جواب له عن سؤال وجه إليه . وذكرها السيوطي في الأشباه والنظائر (٣) .

حتى أخذ بذلك بعض المحققين فعده الشيخ ابن أبي شنب محقق الجمل بين آثار الزجاجي نقلا - كما قال - عن كشف الظنون ، والحق أن هذا الكتاب من وضع الزجاج أستاذ الزجاجي كما في كشف الظنون نفسه (١٤٤٧ : ٢) وقد طبع في القاهرة سنة ١٩٠٦ ضمن مجموعة باسم الطرف الادبية .

(١) المصدر السابق ٤ : ٢٣٣ .

(٢) ذكرهما بروكلمن . وفي دار الكتب المصرية رسالة خطية بهذا الاسم منسوبة الى الزجاجي فاذا عدت اليها وجدتها للزجاج .

(٣) الاشباه والنظائر ٣ : ٤٨ .

التعريف بكتاب الإيضاح في علل النحو

أقسام الكتاب ومقدمته

يتألف كتاب الإيضاح من مقدمة صغيرة وثلاثة وعشرين باباً . يضاف إليها مسائل صغيرة متفرقة ألحقها الزجاجي في آخره .

أما مقدمته فيتحدث الزجاجي في صدرها عن ضرورة العناية بالمؤلف . لأنه صورة لعقل صاحبه يعرضها على الناس . وهؤلاء حتى أقربهم الى المؤلف تواقون الى نقده . مشوقون إلى إظهار مثالبه « وإن أصدق الناس وأبرهم به . لن ينظر في تصنيفه إلا نظر مضاد له ومكاشح » .

ويستعرض بعد ذلك بإيجاز سبب وضع الكتاب وموضوعه . ذاكراً الطريقة التي سيسلكها في معالجة بحثه فيقول : « هذا كتاب أنشأناه في علل النحو خاصة . والاحتجاج له وذكر أسرارهِ . والكشف عن المستغلق من لطائفه وغوامضه . دون الأصول ، لأن الكتب المؤلفة في الأصول كثيرة جداً » وهو يريد أن يسد فراغاً لم يسبقه إلى سده أحد « ولم أر كتاباً إلى هذه الغاية مفرداً في علل النحو مستوعباً فيه جميعها . وإنما يذكر بعقب الأصول الشيء اليسير منها . مع خلوتها أكثرها منها » .

وبذلك حدد الزجاجي موضوع كتابه بالعلل خاصة . وبين أنه لن يتعرض للأصول أي للقواعد النحوية ، لأنه يؤلف في موضوع العلل هذا الموضوع الذي نزل به الضميمة حتى غداً بحثاً مهماً أو ثانوياً يوثى به بعد الأصول .

ولا يتغفل الزجاجي بعد ذلك عن الإشارة إلى مصادر بحثه ، فيذكر أنه استنبط من كتب غيره من العلماء . وأنه أخذ الكثير عن الشيوخ تلقياً ومشاهدة .

وأما أسلوبه في معالجة الموضوع فلا يقوم على التطويل والإكثار ، بل هو

أسلوب يؤثر الاختصار ، وترك الخلاف ، وإهمال السند ، وانتقاء أحسن وجوه الكلام إذا كانت للسألة منه وجوه عدة .

وبعد أن ينهي الزجاجي حديثه عن كل ما سبق ينتقل إلى تقديم كتابه إلى من يجب التطلع إلى العلم منبهاً ممن يسمو إلى نقده أن يتند ويتمهل ، وأن يفكر ويتدبر ، فإن لم ير بعد ذلك مندوحة من تخطئته فهو مستعد للمناظرة وليطلق أهل النظر والعلم بعد ذلك حكمهم له أو عليه .

وآخر ما يتعرض له في مقدمة الكتاب هو ذكر السبب في تسميته بالإيضاح وهو يترك لما أودعه في الكتاب نفسه أن يرد على من ينكر عليه هذه التسمية العادلة . ثم ينهي مقدمته بذكر أقسام الكتاب فيقول : « وهذا الكتاب ينقسم قسمين : القسم الأول منه في ذكر العلل خاصة ، والثاني في المسائل المجردة . ليكون أسهل متناولاً » والحق أنه اتبع في كتابه هذا التقسيم لولا أن القسم الثاني كان من الإيجاز بحيث لا يصح معه أن يكون قسماً من كتاب كما سئرى .

وهناك أمر لست أحب أن يفوتني التنبيه عليه . وهو أن الزجاجي كثيراً ما يدافع عن نفسه في كتبه . وهذا أمر واضح جداً في مقدمة « الإيضاح » ولست أدري هل يرجع ذلك إلى شعور الرجل بأنه دون سواه ؟ أو هو استباق منه ليقطع الطريق على الخصوم ؟ مهما يكن من أمر . فقد كان الزجاجي أشبه برجل يعلم أن كتبه ستهاجم . وأن خصومه متربصون به . فكان يحرص على البدء بالدفاع عن نفسه . ويطلب تأجيل الحكم على الكتاب إلى ما بعد الفراغ منه . وكأني بالزجاجي قد استشف ما يعتقد فيه أنداده ومعاصروه أو خاف أن تتحرك في نفوسهم الهواجس فتنتقل ألسنتهم بما انطلق به لسان أبي علي الفارسي فيما بعد حين وقف على كلام الزجاجي في النحو فقال : « لو سمع أبو القاسم

كلامنا في النحو لاستحيا أن يتكلم فيه (١) أو لاستحيا منا (٢) وكأنه لمثل ذلك انبرى يرد عن نفسه ويؤكد أنه بذل جهده في كتابه . فقال : « ليعلم الناظر في هذا الكتاب أنا لم نألُ جهداً في تهذيبه وترتيبه ونظمه واختياره حسب الطاقة . ومع ارتجالنا إياه وتكلفنا جمعه من مواقع غير عاملين على مثال سبقه ، ولا محتذين على نظم تقدمه » (٣) .

ويبين أنه إن وقع في الكتاب نقص فليس ذلك للجهل أو الغفلة . بل للحب في الإيجاز وترك التطويل . فيقول : « فإن نظر فيه ناظر فلم ير في بعض الأبواب علة يعرفها أو قد سمع بها فليعلم أن ذلك ليس بجهلنا بها . ولا لإغفالنا إياها . بل لما قدمت ذكره . لأننا لم نقصد إلى وضع هذا الكتاب في هذا المعنى إلا بعد عناية شديدة بجميع ما نودعه إياه » (٤) .

ويشتد دفاع الزجاجي عن نفسه ، وتزداد حماسه وكأنه كان يرى ثورة الخصوم ويتخيل لدد المعاندين فيطلبهم إلى المناظرة بحضرة ذوي الفهم ليتبين وجه الصواب وتعلو كلمة الحق إذ يقول : « ومن سمت به نفسه إلى تتبع ما أودعناه إياه وسميناه فيه وفحصه والكشف عن حقائقه فحقيق عليه إن مرّ به ما ينكره أن يراجع فكره ويثير قريحته ويحرك خاطره ليقف على ما لعله قد انستر عنه ، ولا يحكم من أول وهلة بخروج عن الحق فإن هو فعل ذلك وتدبره ، ولم يره ينقاد في طريقة القياس مستمراً ، أو رأى أنه لا حقّ إلا في غيره كانت حلبة الناظر — باجتماع ذوي الفهم والنظر والفحص والجدال معنا فيها — فاصلةً بيننا وبينه حتى

(١) نزهة الألبا : ٣٧٩ .

(٢) انباه الرواة ٢ : ١٦٠ .

(٣ ، ٤) مقدمة الايضاح .

نصير معاً بحق النظر إلى الصواب فنعتقده جميعاً ، لأن الرجوع إلى الحق خير من التهادي في الباطل (١) .

ثم هو لا يلبث أن يتوجس خيفة من منكر ينكر عليه تسمية كتابه بالإيضاح فيقول :

« ولعل منكراً ينكر تسميتنا هذا الكتاب بكتاب الإيضاح لأسرار النحو . ويقول : أي شيء في النحو يحتاج إلى ذكره ؟ ولا يعجلن بذلك حتى يتصفحه ويتأمل ما أودعته إياه ، فيعلم حينئذ أنني لم أدخر لناظر فيه نصحاً ، وأن أكثر ما أودعته إياه لا يكاد يراه مفرقاً ولا مجموعاً في غير هذا الكتاب ليحكم حينئذ بما يراه ، وكفى بمحكم خصمه عليه منصفاً عادلاً » .

وهذا لعمرى منظر العالم المنصف ، إلا أن الأيام لم تنصف أبا القاسم ، فطمست آثاره أو كادت مع أنه لا يقل عن الكثيرين من العلماء معرفة وسعة علم وكثرة مؤلفات ، ولم يكن دفاع الزجاجي هذا لينجيهِ من علماء تعقبوا مؤلفاته وردوا عليها . قال القفطي : « لما وردت له مسائل إلى العراق مع بعض الطلبة وقف عليها أبو علي الفارسي وقد كان رفيقه فقال : لو رأنا الزجاجي لاستحيا منا . وقد آخذته جماعة في تصانيفه فنها كتاب في شرح مقدمة أدب الكاتب ، رد عليه فيه جماعة من العلماء . وكتابه في النحو المسمى « الجمل » تعرض له البطليوسي وصنف فيه كتاباً سماه « الحلل في إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل » (٢) وقد نكت ابن بابشاذ في شرحه نكتاً في الرد عليه (٣) .

(١) مقدمة الإيضاح .

(٢) الحق أن للبطليوسي كتابين حول الجمل أحدهما « إصلاح الخلل الواقع في الجمل » والثاني « الحلل في شرح أبيات الجمل » وقدسها القفطي فعدهما كتاباً واحداً .

(٣) انباه الرواة ٢ : ١٦٠ .

أسلوب كتاب الايضاح

أسلوب الكتاب يقوم على الجدل وعرض البراهين المختلفة لشتى آراء النحويين، وكثيراً ما يتخذ الزجاجي في معالجته للأفكار طريقة السؤال والجواب حتى إذا لم يجد سائلاً يسأله تخيلاً تخيلاً وألقى السؤال على نفسه ليتولى الإجابة عنه .

وهو في عرضه لمسائل النحو وإيراده آراء النحاة المختلفة وذكر ما ورد عليها من الاعتراضات وما قدموه بين يديها من الأدلة والبراهين ... إنما يذكرنا بآب الأبنباري في كتاب « الإنصاف » إذ يبدأ الزجاجي عرض المسألة بذكر رأي البصريين ويمثله غالباً قول سيديويه . ويتبعه برأي المخالفين ثم يفصل حجج كل منهم بادئاً بحجج الأضعف ليختم الحديث بإقرار حجج الأقوى (١) وقد يعكس فيقدم حجج الأقوى ثم يتبعها بالأضعف ليوهيها ويبين فسادها (٢) .

ويجدر بنا أن نشير إلى أن الزجاجي كان حاذقاً فطناً بصيراً بطرائق العلوم . لم يدخل عليه فيها ، وكثيراً ما دفع عن النحو أذى أساليب دخيلة عليه فجنبه السير المتعثر في سبيل ليست له وإنما هي للمنطق أو الفلسفة ، على أن هذا لم يمنع أبا القاسم من أن يحاج كل قوم بلسانهم . ويسلك في خطابهم أسلوبهم في الجدل منبهاً على أن هذا - ليس من النحو ولكنه سبيل المضطر « وإنما ذكرنا هذه الألفاظ في تحديد الفلسفة هاهنا وليس من أوضاع النحو . لأن هذه المسألة نجيب عنها من يتعاطى المنطق وينظر فيه . فلم نجد بدءاً من مخاطبتهم من حيث يعقلون وتفهمهم من حيث يفهمون » (٣) .

والزجاجي ينتهي من أدلة النحاة أصلحها وأصوبها إذ لم يكن محباً للإكثار

-
- (١) أنظر (باب القول في الالف والياء والواو في التثنية والجمع) .
 - (٢) أنظر (باب القول في الفعل والمصدر ، أيهما مأخوذ من صاحبه) .
 - (٣) الايضاح ص (٦/ب) .

في غير طائل فكان يطلع ويوازن ويستصفي ثم لا يذكر إلا ما يراه العلة الشافية والجواب الأسد^١، ولم يكن كغيره من النحاة الذين حشدوا في تأليفهم كل غريب من القول وتافه من الخلاف حتى أصبحت صحائف أسفارهم ميادين صراع بعيد عن جوهر الموضوع في كثير من الأحيان . فلا يصل طالب المعرفة من وراء هذه الأسفار إلى القليل مما يريد حتى يكون قد أثقل عقله بالكثير مما لا يريد بل حتى بات الخليل حين يقول: «لا يتعلم أحد من علم النحو ما يحتاج إليه حتى يتعلم ما لا يحتاج إليه»^(١) لا يصور إلا بعض الحقيقة بالقياس إلى كتب المتأخرين من النحاة . إن الزجاجي يهمل الكثير من القول لا جهلاً ولا تقصيراً بل هو الحرص والعناية وهو يشير إلى ذلك فيقول «ثم نجعل جميع ما نذكره في هذا الكتاب منتقى مهذباً غير مائلين فيه إلى التطويل بكثرة الروايات والاختلاف والأسانيد وذكر القائلين . فإن كان لبابٍ من الأبواب علل قد تكلم عليها العلماء لم نذكر إلا أجودها وأسدّها»^(٢) .

غاية الكتاب وقيمه

أوضح الزجاجي غايته من تأليف كتاب الإيضاح فقال : « وهذا كتاب أنشأناه في علة النحو خاصة والاحتجاج له وذكر أسرارهِ وكشف المستغلق من لطائفه وغوامضه دون الأصول لأن الكتب المصنفة في الأصول كثيرة جداً . ولم أرَ كتاباً إلى هذه الغاية مفرداً في علة النحو مستوعباً فيه جميعها » . فغرضه إذاً البحث في علة النحو وإيضاح بعض أسرارهِ لأن المؤلفين قبله أهملوا ذلك فلم يخصه أحد بالتأليف ولن نناقش هنا ادعاءه أنه أول من ألّف في العلة لئلا نرى أن كان ذلك حقاً أم كان هناك من عني بالعلة قبله والّف فيها^(٣) ولكننا نقول إن عدم

(١) كتاب الحيوان ١ : ٣٧ .

(٢) مقدمة الايضاح .

(٣) تناولنا هذا البحث في كتابنا « النحو العربي » .

وجود بحث مفصّل مستقل للعلل كان العامل الأول في تأليف هذا الكتاب وأن الحديث عن العلة هو الغاية الرئيسة منه ، على أننا إذا قرأنا الكتاب وجدنا له أغراضاً أخرى لم يشر إليها صاحبه في مقدمته . ولم يحدثنا عنها بصراحة ، بل جاءت عرضاً في تضاعيف الكتاب . فن هذه الأغراض مثلاً أنه يسعى لتقريب النحو من الفهم وتيسير الوقوف على أسراره وقد عني الزجاجي بالمبتدئين واهتم بهم وألّف لهم . وكذلك هو في « الإيضاح » يهتم بهم ويجعل تقريب النحو لهم من أغراضه ولو أدّى به ذلك إلى تغيير ألفاظ النحاة . قال : « والاحتجاجات على ثلاثة أضرب منها ما كان مسطراً في كتب البصريين والكوفيين بألفاظ مستغلّمة صعبة فعبّرت عنها بألفاظ قريبة من فهم الناظرين في هذا الكتاب . فهدبتها وسهّلت مراتبها والوقوف عليها » (١) .

ومن هذه الأغراض التي استهدفها أيضاً تبيان قيمة النحو . وضرورة إتقانه والدفاع عن الإعراب فقد خصّ « فائدة تعلم النحو » بباب جمع فيه - على إيجازه - الكثير من الأقوال في تفضيل العربية وضرورة حذفها وامتداح الإعراب فيها . وكان موقفه من الذين يطالبون بتسكين الكلمات والاستغناء عن حركات الإعراب موقفاً عاقلاً . فلم يطل الجدل معهم بل اكتفى بأن بيّن ضعف تفكيرهم وقصر نظرهم فقال : « فأما من تكلم من العامة بالعربية بغير إعراب فيفهم عنه . فإنما ذلك في المتعارف المشهور والمستعمل المألوف بالدربة ولو التجأ أحدهم إلى الإيضاح عن معنى ملتبس بغيره من غير فهمه بالإعراب لم يمكنه ذلك وهذا أوضح من أن يحتاج إلى الإطالة فيه » (٢) .

هذه هي الأغراض التي رمى إليها الزجاجي في كتابه ولا شك ان قيمة

(١) الإيضاح : ص (١/١٩) .

(٢) الإيضاح : ص (١/٢٤) .

الكتاب إنما تتناسب مع تلك الأغراض ومع ما أصابه من التوفيق في تحقيقها .
ولقد رأينا أن من أغراض كتاب الإيضاح الحديث عن العلة ولهذا الحديث قيمته
وشأنه ما دامت العلة من أبرز عوامل الجدل والنقاش قديماً وحديثاً .

ورأينا من أغراضه التقريب والتسهيل وكان عهدنا بالنحاة أن يطلبوا إلى
الناظرين في كتبهم أن يسموا إلى فهمها لا أن يدنوا بالمؤلف من الافهام كما فعل
الزجاجي فكان عمله هذا دليلاً على فطنته وسداد خطته ما دام لا يؤلف لنظرائه
من العلماء وإنما يكتب للمبتدئين وحيداً لو كان أكبر النحاة كذلك إذأ لكفونا
مؤنة الترجمة والنقل من اللغة التي ألفوا بها تلك المعقدة الصعبة إلى لغة سهلة
العبرة واضحة المفهوم .

وهذه الخطة تدل على اتجاه جديد في التأليف يقوم على التفريق بين تأليف
علمي عام وتأليف مدرسي تعليمي خاص . ولعل ما نراه من إخراج القدماء
للكتاب الواحد على أشكال متعددة أو على نسخ مختلفة من صغرى ووسطى
وكبرى راجع إلى هذه الحقيقة وهي أنهم كانوا يراعون مستوى قرائهم، فيخصّون
كل طبقة منهم بأسلوب يلائم مستواهم فيكون للكتاب الواحد نسختان أو ثلاث.
وكان الزجاجي كما رأينا يراعي المبتدئين ويعنى بهم فيغير من أجلمهم الألفاظ
ويوضح العبارة ويكثر الأمثلة بل كان عالماً ومعلماً يتناول كتبه بمناهج مختلفة من
البحث فتكون عنده جل كبرى وجل صغرى وتكون عنده الأمالي الكبرى
والوسطى والصغرى . ويتناول كتب غيره مما يرى فيه النفع فيعمل فيها ذوقه
التعليمي ويعيد تأليفها على طريقته التعليمية الخاصة كما فعل في مختصر الزاهر .

وكتاب الإيضاح قبل ذلك كله من أوائل كتب أصول النحو التي وصلت
إلى أيدينا وهو يلقي ضوءاً على مرحلة من مراحل التأليف المبكر في هذا العلم .
وإذا كان يشترك في هذه الميزة مع سائر كتب الزجاجي وزملائه فإنه ينفرد عنها
جميعها في موضوعه . فنحن حتى اليوم لم نطلع على تأليف خصه صاحبه بالعلة .

وإن أول ما وصل إلينا عن العلل هو ما وضعه ابن جنّي في الخصاص ، وبين ابن جنّي والزجاجي أكثر من نصف قرن .
على أن هذا لا يعني أنه لم يكتب أحد قبله في العلة . فقد كتب فيها غيره ، ولكن ما كتبه هو الذي وقع إلينا دون غيره .

ثم إن كتاب الإيضاح يلقي ضوءاً على تلك الصلة المبكرة بين النحو وغيره من العلوم ، مثل الفقه والكلام والمنطق والفلسفة ، ويدل على أن الزجاجي كان يود أن يكون للنحو أسلوبه ومنهجه ، والا يضيّق عليه أو يفرض عليه منهج دخيل آخر ؛ ولذلك نراه يفرق بين ما هو من اوضاع النحو وما هو من غيرها فيقول بعد أن يذكر بعض حدود الفلسفة « وإنما نذكر هذه الألفاظ في تحديد الفلسفة هاهنا وليس من اوضاع النحو ؛ لأن هذه المسألة نجيب عنها من يتعاطى المنطق وينظر فيه فلم نجد بدأً من مخاطبتهم من حيث يعقلون ، وتفهمهم من حيث يفهمون » (١) .

والحق أن كل بحث يعود بالنحو — دون أن يهدمه — إلى سبيل البساطة والتيسير ، ويوضح ما كان من مذاهبه للتعليم والتوضيح ، وما كان منها للنظر والجدل ، ويفصل ما هو من النحو عما ليس منه ، هو بحث قيم مفيد .

وكتاب الإيضاح يشكل حلقة من حلقات تاريخ النحو وصلته بالفقه والكلام والمنطق ، ويوضح لنا كثيراً من المسائل الجدلية التي أثارها كتاب سيبويه بين النحاة ، ويقفنا على جانب مهم من جوانب الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وهو في ذلك سابق لابن الأنباري (٥٧٧ هـ) في إنصافه وللعكبري (٦١٦ هـ) في مسأله الخلافية (٢) .

(١) الايضاح ص (٦/ب) .

(٢) المسائل الخلافية في النحو لابى البقاء العكبرى نشر فى حلب بتحقيق الاستاذ محمد خير الحلوانى .

ومما يجب ان نذكره للكتاب بالخير أنه وُضع على أساس الإنتقاء للأجود والانتخاب للأصوب ، فلم يحش الزجاجي كتابه بكل قول ، ولم يذكر فيه كل علة بل نشر الأجوبة بين يديه ثم عجم حججها فاختار أقواها واسدها .

ملاحظات على كتاب الايضاح

إن ما بيناه من قيمة الكتاب ، وما ذكرناه من محاسنه ، لا يمنعنا من أن نبدي فيه بعض الملاحظات . ونحن حين نقف منه هذا الموقف فلسنا من أولئك الذين بادروهم الزجاجي بالدفاع عن نفسه وعن كتابه .. ولا من أولئك الذين ينظرون في كتابه نظر المضاد له أو المكاشح ، بل نحن ننظر إليه بعين الإعجاب والتأييد متمنين لو ان الكتاب كان اجود وأتم .

١ - مما يقفنا في كتاب الإيضاح تلك المسائل المجردة التي عدها الزجاجي القسم الثاني من الكتاب . فقد ذكر ان الكتاب قسمان : قسم للعلل وقسم للمسائل ، واتبع هذا التقسيم في كتابه فعلاً ، فنص في آخر قسم العلل على تمام الكتاب . ثم ألحق به مسائل صغيرة ليست جديرة بأن تنال هذه الأهمية فيتحدث عنها في المقدمة ويذكرها غير مرة في تضاعيف الكتاب .

٢ - إن مقدمة الكتاب لتوحي للقارئ بما فيها من اعتداد بالنفس وحرارة في الدفاع ، بفكرة رائعة عن الكتاب لا تتفق مع واقع الكتاب نفسه ، وكما كنا نتمنى لو أن الزجاجي استبدل بهذه المقدمة مقدمة في الحديث عن العلة في النحو ونشأتها وتطورها . ثم أعقب ذلك بالفصل الذي جعله الباب الخامس من كتابه وهو (علل النحو) فأفاض فيه ، وفصل ما أوجزه ، ولم يقصر الحديث فيه على صفتين اثنتين والكتاب كله يحمل اسم هذا الفصل .

٣ - إن الزجاجي قسم العلل اقساماً ثلاثة : تعليمية ، وقياسية ، وجدلية نظرية ، وهو تقسيم حسن معقول نذكر للزجاجي سبقه إليه ، ولكننا نراه

مقصرأ في الحديث عنه ؛ إذ كان ينبغي له أن يذكر رأيه في كل قسم. ولو ان هذا الباب جاء بعقب المقدمة ثم اتبع الزجاجي في الكتاب كله تقسيم أبوابه بحسب أقسام العلة هذه لكان الكتاب على ثلاثة ابواب : باب العلل التعليمية ، وباب العلل القياسية ، وباب العلل الجدلية ، وتحت هذه الأبواب الثلاثة تنضوي علل النحو جميعاً ، وبذلك يكون قد جمع بين العلم النظري والتطبيق العملي ، ويكون قد عرف بما هو علّة ضرورية للمعلمين المتطلعين إلى إتقان كلام العرب ، وما هو علة للقياس على كلام العرب ، وما هو بعد ذلك سفسطة نظرية يتمرس بها المختصون من محبي النظر والجدل ، فلا يختلط علينا الأمر ولا يتعثر بنا الطريق .

على ان هذا كله لا يحط قيمة كتاب الإيضاح . فالكتاب — على عله — ذو قيمة ظهرت لنا فيما سبق من الحديث . وحسب صاحبه أنه كان من الرواد الأوائل الذين فقهوا لغتهم ، وتعمقوا أسرار قواعدها ، ثم حاولوا التبسيط والتيسير ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

وصف نسخة الكتاب المحققة

اعتمدتُ في تحقيق هذا الكتاب ونشره على نسخة وحيدة هي التي اُشار إليها بروكلمن ، ولم أعر على غيرها مع طول البحث وكثرة التفتيش . وقد كدت أول الأمر اميل عنها لكونها وحيدة لا لشيء آخر . ثم آثرت ان أعود إليها وانظر فيها ثم احكم بعد ذلك بالترك والإهمال ، او بصلاحها للعناية والتحقيق . وعدت إليها وقرأتها غير مرة قراءة بحث وتأمل . فإذا هي نسخة لم يُعربها اليم والوحدة ، وليس فيها من النقص ما يضطر المحقق إلى البحث عن نسخة ثانية تكون تكأة له في عمله . فلم أجد حرجاً في الإقدام على تحقيق نصها ، فأقدمت مطمئناً لما وجدته في النسخة من كمال ووضوح . فهي تامة واضحة المبدأ والمنتهى ثابتة النسب : لا مجال فيها للشك . وما كان أمره كذلك فقد يناله من أذى الحيلة وضم الحذر ما لا يناله من أذى الجرأة وهجمة الإقدام . على ان هناك ما يوهم نقصها ؛ إذ كثيراً ما يمر الزجاجي بالمسألة فيشير إليها إشارة سريعة ثم يقول : « وسنذكرها في محلها إن شاء الله » قال : « وفي باب (إن) سؤالات كثيرة غير هذا سنذكرها مع الجواب عن هذه المسائل في باب ذكر علل (إن) إن شاء الله » (١) وقال عن إسكان لام فعلت « اسكنت اللام لثلاث توالي في كلمة واحدة اربع متحركات . ولهذا موضع يذكر فيه إن شاء الله تعالى » (٢) ثم لا نجد ما وعدنا به في كتابه .

ونحن هنا أمام أحد امرين ، فإما ان تكون النسخة التي بين أيدينا ناقصة وإما ان يكون نداء عن الزجاجي بعض ما وعد به . وهذا ما نرجحه ، لأن النسخة كاملة كما ذكرنا ، وأبوابها متلاحقة وليس فيها خرم او نقص ، وقد ذكر في

(١) الايضاح : ص (١٤ / أ) .

(٢) الايضاح : ص (١٧ / ب) .

نهايتها أنها تمت . وقد يكون هذا الإهمال راجعاً إلى أن الزجاجي لم يُعد النظر في كتابه قبل أن يخرج ، أو راجعاً إلى أنه كان يميل هذا الكتاب على طلابه كما هي عادة قدماء الشيوخ في مجالسهم ، فلم يبيح كتاباً متصلاً متلاحق الفقر . على أن هناك أشياء كثيرة وعد بتفصيلها وبرّ بوعده ففصلها ، كذكر السبب في منع دخول حروف الخفض على الفعل (أشار إليها في ص ٨ / ب وفصلها في ص ٢٧ / ب) وذكر حقيقة فعل الحال (أشار إليه في ص ٩ / أ وفصله في ص ٢١ / أ) وذكر الفعل والمصدر وأيهما مأخوذ من الآخر (أشار إلى ذلك في ص ٩ / أ وفصله في ص ٩ / ب) .

وأما عنوان الكتاب فقد اختلف الذين ذكروه فجعله بعضهم « الإيضاح » وجعله بعضهم الإيضاح في النحو . وقد آثرت « الإيضاح في علل النحو » لأنه واضح على الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة (أنظر ص ٢٧) ولأن مقدمة الكتاب واضحة الدلالة عليه . وقد كتبت نسخة الإيضاح هذه مع كتب الجمل ، واللامات ، وشرح مقدمة أدب الكاتب ، من آثار الزجاجي ضمن مجموعة في مجلد واحد لا يزال في اسطنبول / شهيد علي ١١ / إلا أن معهد إحياء المخطوطات بالجامعة العربية أخذ عن هذه الكتب صورة على شريط مصغر (فيلم) رقمه ٢٧ / نحو / .

ونسخة الإيضاح متوسطة الحجم ، أوراقها أربعون . وصفحاتها المكتوبة ثمان وسبعون في كل منها ثلاثة وعشرون سطراً .
أما الصفحة الأولى فعليها عنوان الكتاب وإسم المؤلف . كتب بخط هو خط سائر النسخة ، وبلي ذلك - على الصفحة الأولى - شهادة سماع وإجازة إقراء كتبها ابن سحنون الغاري بخطه . وهذا نصها :

« قرأ عليّ الشيخ الفقيه العالم الفاضل المتقن الجوّد . المقرئ الأديب .

(الإيضاح ٣)

زين الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الفقيه الأجلّ أبي محمد عبد الله بن عزاز بن كامل الشافعي . أدام الله توفيقه وسلامته جميع هذا الكتاب المعروف بكتاب الإيضاح تصنيف أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي رحمه الله . قراءةً ضبط وبحث . وهو أهل لإقرائه حقيق بذلك .

وكتب عبد العزيز بن سحنون بن علي الغماري في السادس عشر من ذي القعدة سنة عشرين وستمائة والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد نبيه . وآله وصحبه وسلم تسليماً (أنظر صورة الأصل في ص ٢٧) .

أما عبد العزيز بن سحنون هذا فهو نحويّ بارع حدث بمصر وتصدر بجامعها لإقراء العربية ومات سنة ٦٢٥ هـ (١) . وأما الشافعي فهو أبو العباس أحمد بن عبد الله ابن عزاز بن كامل المعروف بابن قطبة ، وكان من أئمة العربية في مصر ؛ ومات سنة ٦٦٩ هـ (٢) .

ويبدو أن أبا العباس الشافعي قد قرأ على ابن سحنون أكثر آثار الزجاجي لأننا نجد مثل هذا السماع على الصفحات الأولى من بقية كتب المجموعة .

وتاريخ السماع كما رأينا هو السادس عشر من ذي القعدة سنة عشرين وستمائة، أي بعد تاريخ كتابة النسخة بثلاث سنوات ؛ لأنها كتبت سنة سبع عشرة وستمائة على ما جاء في آخرها وهو قوله : « تم الكتاب بعون الله وحده . والحمد لله وحده وصلواته على خير خلقه محمد . وآله وصحبه وسلم . وفرغ من نسخه في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة وستمائة » (أنظر صورة الأصل في ص ٣١) .

(١) بغية الوعاة : ٣٠٨ .

(٢) المصدر السابق ١٣٧ وذكرت سنة وفاته في البغية خطأ (٦٩٩) وصححتها من الوافي بالوفيات ج ٧ ورقة ٥٩ ب (وهو فيلم في معهد المخطوطات) .

ويجدر بي أن أنبه على أنه قد جاء ذكر انتهاء الكتاب وتماه في غير هذا الموضوع . وذلك لأن الكتاب قسمان : قسم خاص بالعلل . وقسم ألحق المسائل ، وقد ذكر تمام كل قسم منه على انفراد . فكما رأينا الكتاب الآن يتم ويذكر تاريخ نسخته كذلك نرى في ص (٣٨ / أ) قوله : « تم الكتاب والحمد لله رب العالمين » يعني بذلك كتاب العلل دون المسائل الملحقه .

وأما خط النسخة فواضح وعادي . ويبدو أن ناسخاً واحداً كتب آثار الزجاجي كلها لأن الخط واحد في المجموعة كلها . على أن هناك أموراً تجب ملاحظتها في كتابة النسخة . منها أن بعض الكلمات لم تكتب على ما نعرفه اليوم من قواعد الإملاء فكلمة « هؤلاء » كتبت غير مرة بالألف (هاؤلاء) على حين جذفت ألف الهزرة من « يسئل » و « مسئلة » ومن مثل « ثلاثة » إذ كتبت « ثلثة » ... ويهمل الناسخ — على عادة القدماء — إثبات الهزرة المتطرفة بعد الألف الممدودة فيكتب الألفاظ الآتية : الاسماء ، عمياء ، الاشياء ، دون همزة .

وأما الإعجام فليس ملتزماً في النسخة كلها على كثرة وجوده فيها . وقد كنا نود أن نعرف اسم الكاتب لولا أنه لم يشر إلى نفسه أبداً . على أننا نستطيع أن نقول إنه لم يكن على علم بالنحو لأن في الكتاب ألفاظاً أخطأ في شكلها خطأ واضحاً كقوله « إن الفعل مستحقاً » و « أضيف إليه مستحقاً » .

ولا بد من الإشارة إلى أنه أعانني في تحقيق الكتاب عن نسخته الوحيدة ما نقله عنه النحاة في كتبهم ولا سيما ما نقله عنه السيوطي في كتابه « الأشباه والنظائر » وقد أشرت إلى ذلك في موضعه .

منهج تحقيق الكتاب

لما كانت الغاية من تحقيق النصوص إنما هي إخراجها صحيحة سليمة ، كما وضعها المؤلف ، فقد بذلت الجهد في هذا السبيل ، مراعيًا ما تستوجبه إعادة النص إلى وضعه الأول من حيطة وحذر ، ودقة وأمانة ، وقد تكون هذه الإعادة إلى الأصل أصعب من ولادة أصل جديد ، وصدق الجاحظ إذ يقول « لربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيحاً ، أو كلمة ساقطة فيكون إنشاء عشر ورقات من حُرّ اللفظ وشريف المعاني أيسر عليه من إتمام ذلك النص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام » (١) .

وقد تبين من وصفنا لنسخة الكتاب أنها أعانتنا في التحقيق . فلم تكن مواضع الإبهام والغموض كثيرة فيها . وقد التزمت في تحقيقها القواعد الآتية :

١ - احترمت النص فلم أتدخل فيه إلا بالقدر اليسير الذي لا يمس جوهره ككتابه وفق القواعد الإملائية المعروفة اليوم .

٢ - صححت ألفاظاً وردت في النص مخالفة لقواعد النحو . وأشارت إلى هذا التصحيح في الحاشية .

٣ - جاءت في النص كلمات كثيرة مشكولة . ولما لم يكن شكلها ذا فائدة وكان شكل الكثير منها خطأ فقد أهملت الشكل في النص إلا في موضعين اثنين : أولهما الآيات القرآنية ، وثانيهما لفظ خفت عليه اللبس .

ولست أكتف أن مما يسر عليّ هذا التدخل في النص ، ومنحني الجرأة عليه كون ناسخه غير مؤلفه أولاً . وكونه مجهولاً ثانياً . ولو كان الناسخ هو نفسه المؤلف لما سمحت لنفسي بشيء مما فعلت لأن الكتاب يكون آنذاك صورة لثقافة صاحبه .

(١) كتاب الحيوان ١ : ٧٩ .

٤ - ضبطت الأعلام التي وردت في الكتاب ، وترجمت لها . ولما كان الاسم يتكرر أكثر من مرة فقد اكتفيت بترجمته حين وروده لأول مرة . وأحلت في سائر المرات عليه .

٥ - عرّفت بالكتب التي وردت أسماؤها في النص ودلت على أماكن وجودها حين الإمكان .

٦ - خرّجت شواهد النص من آيات وأشعار .

٧ - وجدت في النص جملاً قليلة غير مستقيمة فحاولت تقويمها بما يناسب السياق من زيادة كلمة أو حرف . ونبهت على ذلك بأن وضعت الزائد بين هذين المعقوفين () وأشرت إلى الزيادة في الحاشية .

٨ - لما كانت الأبحاث التي تناولها الزجاجي مفرقة على أبواب النحو المختلفة ، فقد دلت في الحاشية على أماكن وجودها في كتب النحو المعروفة ولا سيما كتاب سيويه وشرحه للسيرافي .

٩ - شرحت بعض الألفاظ شرحاً لغوياً .

١٠ - حرصت على الإشارة إلى بدء الصفحة ونهايتها في متن المخطوط . فوضعت أرقاماً تدل على ذلك . ورمزت للوجه الأيمن من الورقة بالرقم مقروناً بالحرف (أ) وللوجه الأيسر منها بالرقم مقروناً بالحرف (ب) .

كتاب
في عمل القوت واليقين
بنسخ الرجاء
الضوي عن الله عنه وعن له

قوله علي المشيخ الفقيه العالم الفاضل المتبحر
الارباب زين الدين والعباس احمد بن الشيخ الفقيه
ابن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الشافعي زاهد متق
جميع من الكاب للمعروف في الاضاح
الشيخان الفاضل عبد الرحمن بن علي بن ابي رجا
زاد صبطه وحسنه وهو اشد في اهل حقيق
وكتبه عبد العزيز بن علي الغماري في ال
منه للفقهاء من تلاميذ تلامذته و
وصلي الله علي سيدنا محمد واهله

وجه الصفحة الأولى من المخطوط وقد ظهر عليها اسم الكتاب والمؤلف بخط ناسخ الكتاب كما ظهرت تحتها شهادة السماع وإجازة الاقراء بخط ابن سحنون الغماري

بسم الله الرحمن الرحيم ^{وهو أسبق}
 الحمد لله ذي المنن الجزيلة والفضل العظيم الذي لا يتسع أمداها ولا
 تترك نفايتها وصلّى الله على نبيه محمد وآله الطيبين الطاهرين
 وسلم تسليما . اعلم وفقنا الله وأياك للترساده والفرد وجنسنا
 سئل القوابية والردي أن الكتب المصنعة في نور العلم كثير جدا
 فلا نعلم كل فريق أنفسهم في التأليف والتوسع الذي يحيا أولونه منه
 حتى لو أن من كتابها تلك الاخطاء مما صنف من غير واحد من فروع
 العلم اجمع بعين ذلك عليه ولم يسهلها الا شعبة واقراء اكثر
 زمانه بل لعلة لم يسهلها الاخطاء بذلك حتى تصح على نفسه بانه لم
 يسهلها مصنف في ذلك الترادف الصلابة فيسقط علمه من فروع العلوم
 مختلفة غير مؤلفة والأثر متبنيه غير متساهاه كل مؤلف
 قد طاعه واختار نفسه ومجمله من ذلك العلم الذي يعالجه ويريد
 نفسه للتصنيف منه علواً واقتداراً عليه أو ضاعته وسلا
 فيه أو توثقنا من هاس المنزلة من لم يتفق له معهود للمفردات
 التي كثرنا ان يكون كل من نظره تصبوه موافقاً طمعا
 ورأيا واختياراً أو محلا من ذلك العمل أكثر من نظره في محالته
 له في ضرب من هذه الصروب أو اخترها فبيله عنه ما
 نافرة منه الرقابة وعرفه وإذا كان قادرا به صعبا عند كل
 ذي لم يفتق كل مستهد وعقله للناس وعرض مقداره من
 العلم للمعابرة والتوازيه بعرضه بتصنيف كتاب في غير
 فروع العلم التي قد كان من جده أو من أن يتأهل صوابه
 طول عمرة من حاجه وعقله ومجمله ويجهد نفسه في سب ما ستره
 الايمان من حيل أسرانه وهامير اخباره لانه قبل خلقه ذلك

وجه الصفحة الثانية من الكتاب وفيها أول المقدمة

الإيضاح
في علل النجوى

كتاب الإيضاح في علل النحو

تأليف

أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي

عفا الله عنه وغفر له



«قرأ عليّ الشيخ الفقيه الفاضل المتقن المجوّّد المقرئ الأديب
زين الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الفقيه الأجلّ أبي محمد
عبدالله بن عزاز بن كامل الشافعي ، أدام الله توفيقه وسلامته ،
جميع هذا الكتاب المعروف بكتاب الإيضاح ، تصنيف الشيخ
أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي رحمه الله ، قراءة
ضبط وبحث . وهو أهل لاقرائه حقيق بذلك . وكتب عبد
العزيز بن سحنون بن علي الغماري في السادس عشر من ذي القعدة
سنة عشرين وستائة . والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد
نبيه وآله وصحبه وسلم تسلياً .»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله ذي المنن الجزيلة والعطايا الجليلة التي لا ينقطع أمدها، ولا تدرك نهايتها
وصلى الله على نبيه محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً .

اعلم وفقنا الله وإياك للرشاد والهدى، وجنبنا سبل الغواية والردى، أن الكتب
المصنفة في فنون العلم كثيرة جداً، قد أتعب كل فريق أنفسهم في التأليف في النوع
الذي يحاولونه منه، حتى لو أن متكلفاً تكلف الإحاطة بما صنّف في (١) فن واحد
من فنون العلم أجمع لعسر ذلك عليه، ولم يبلغه إلا بمشقة وإفناء أكثر زمانه، بل
لعله لم تمكنه الإحاطة بذلك حتى يقضي على نفسه بأنه لم يفته مصنف في ذلك الفن
إذ كان الكلام بسيطاً غير محصور، والقرائح مختلفة غير مؤتلفة، والآراء متباينة
غير متشاكلة، كل يؤلف على قدر طباعه واختيار نفسه ومحلّه من ذلك العلم الذي
يعانيه ويروض نفسه للتصنيف فيه علوّاً واقتداراً عليه، أو نقصاً عنه وتبلدّاً فيه
أو توسطاً بين هاتين المنزلتين، ثم لم يتفق له مع هذه المقدمات التي ذكرنا أن يكون
كل من نظر في تصنيفه موافقاً له طبعاً ورأياً واختياراً ومحلاً من ذلك، بل لعلّ
أكثر من نظر فيه مخالف له في ضرب من هذه الضروب، أو في أكثرها فيميله
عنه ما نافر منه إلى ما أليفه وعرفه، وإذا كان ما ذكرنا صحيحاً عند كل ذي
لب، فحقيق على كل مستهذّب عقله للناس ومعرض مقداره من العلم للمعايرة
والموازنة بتعرضه بتصنيف كتاب في فن من فنون العلم، أي فن كان من جد
أو هزل، أن يثابر على صون ما صانه طول عمره من جاهه وعقله ومحلّه، ويجهد نفسه
في ستر ما سترته الأيام من خفيّ أسرارهِ؛ وغامض أخباره لأنه قبل تكلفه ذلك/ في ٢/ب

(١) في الاصل « من » .

ستر كثيف وصون كنين وحرز منيع من إحالة المحنة عليه ، وإطلاق الألسنة في الإفاضة في نشر مقابحه ومحاسنه ، هذا مع تعذر الامتناع عليه من محاولي إدخاله في حلبة الكشف والوقوف على عوار إن كان منه عن الناس خافياً قبل ذلك .

وينبغي أن تعلم أن أصدق الناس وأبرهم به، لن ينظر في تصنيفه إلا نظر مصاد له ومكاشح ، لما ركبه الله عز وجل في الأنفس الشريفه من المنافسة في العلم وطلب الرتب العلى منه. ولن تجد الحسد محموداً في حال إلا في طلب العلم لأن من لم تدعه نفسه إلى الأنفة من مطاولة نظيره عليه في العلم ، واعتلائه إياه وغلبته له، فإن البهيمه^(١) غالبه عليه . وهذا باب يطول جداً وإنما أومأنا إليه ليعلم الناظر في هذا الكتاب أننا لم نأل جهداً في تهذيبه وترتيبه، ونظمه واختياره حسب الطاقة ومع ارتجالنا إياه ، وتكلفنا جمعه من مواقع ، غير عاملين على مثال سبقه ، ولا محتدين على نظم تقدمه .

وهذا كتاب أنشأناه في علل النحو خاصة ، والاحتجاج له ، وذكر أسرار ، وكشف المستغلق من لطائفه وغوامضه دون الأصول ، لأن الكتب المصنفة في الأصول كثيرة جداً ، ولم أركتاباً إلى هذه الغاية مفرداً في علل النحو ، مستوعباً فيه جميعها ، وإنما يُذكر في الكتب بعقب الأصول الشيء اليسير منها مع خلوص أكثر (ها) منها . ونضم إلى العلل بعد تقديمها ، مسائل مجموعة منشورة من سائر الحدود . منها ما استخرجناه من كتب العلماء وبسطناه وهدبنا ألفاظه وقربناه . ومنها ما تلقناه من علمائنا رضي الله عنهم تلقيناً ومشافهة مما لم يودعه كتبهم ولا يوجد فيها البتة . ومنها مسائل جرت بين النحويين ممن سلف ، في مجالس اجتمعوا فيها ، ختمنا بها الكتاب ، ذاكرين أكثر ذلك مما بين البصريين والكوفيين فيه من / الخلاف ومحتجين للفريقين بأجود ما احتجوا فيه أ / ٣

(١) في الاصل « البهيمه » .

وما يوجهه القياس غير متحاملين على أحد الفريقين دون الآخر ومؤيدين له بالشواهد والبراهين الواضحة . ثم نجعل جميع ما نذكره في هذا الكتاب مُنتقىً مهذباً غير مائلين فيه إلى التطويل بكثرة الروايات، والاختلاف والأسانيد وذكر القائلين ، وإذا (١) كان لبابٍ من الأبواب علل قد تكلم عليها العلماء ، لم نذكر إلا أجودها وأسدّها . فإن نظر فيه ناظر فلم يرَ في بعض الأبواب علة يعرفها أو قد سمع بها فليعلم أن ذلك ليس بجهلنا ولا لإغفالتنا إياها ، بل لما قدمت ذكره ، لأننا لم نقصد إلى وضع هذا الكتاب في هذا المعنى إلا بعد عناية شديدة بجميع ما نودعه إياه . ولن ندفع مع ذلك أن يشدّ عنا فيما قصدناه له الكثير إلا أن فيا جمعنا منه كفاية وعوناً على ما شدّ منه .

وقصدنا بجميع ما ضمنناه هذا الكتاب إخواننا ومن يجب إثارة بما استودعناه من هذا العلم غير عادلين عمن سواهم، ولا باخلين به عليهم من جميع من مال إليه أو أحب النظر فيه . فمن دعته نفسه إليه وأحب النظر فيه ، وكانت مرتبته من هذا العلم قد تناهت به إليه، فهو مبذول له ما تكلفناه منه مسقط عنه عناؤه ونصبه، ومن مالت به عنه عصبية أو حميته فعنه يصرف حظه وعنا تسقط كلفته . ومن سمت به نفسه إلى تتبع ما أودعناه إياه وسميناه فيه وفحصه والكشف عن حقائقه، فحقيق عليه إن مرّ به ما ينكره أن يراجع فكره ويثير قريحته ويحرك خاطره ليقف على ما لعلّه قد انستر عنه، ولا يحكم من أول وهلة بخروج عن الحق، فإن هو فعل ذلك وتدبره ولم يره ينقاد في طريقة القياس مستمراً، أو رأى أنه لا حقّ إلا في غيره ، كانت حلبة التناظر - باجتماع ذوي الفهم والنظر والفحص والجدال معنا فيها - / فاصلةً بيننا وبينه حتى نصير معاً بحق النظر إلى الصواب فنعتقده جميعاً / ٣/ ب لأن الرجوع إلى الحق خير من التهادي في الباطل . ولم يعر خلق من السهو

والغلط، والكمال لله عز وجل. والنقص شامل للمخلوقين. وسمعت شيخنا أبا إسحق الزجاج^(١) رحمه الله يقول : سمعت أبا العباس المبرد^(٢) رحمه الله يقول : الناس يلحقهم السهو والغلط ، فإذا غلطوا فرجعوا فكأن لم يغلطوا ، وإذا أقاموا على الغلط بعد أن يتبين لهم الصواب كانوا جهالاً كذابين .

ولعل منكرأ ينكر تسميتنا هذا الكتاب بكتاب الإيضاح لأسرار النحو ، ويقول أي شيء في النحو يحتاج إلى ذكره ، فلا يعجلن بذلك حتى يتصفحه ويتأمل ما أودعته إياه فيعلم حينئذ أنني لم أدخر لناظر فيه نصحاً . وإن أكثر ما أودعته إياه لا يكاد يراه مفزقاً ولا مجموعاً في غير هذا الكتاب ليحكم حينئذ بما يراه، وكفى بمحكم خصمه عليه منصفاً عادلاً. وأنا أسأل الله عوناً على ما قصدت له وتسديداً للصواب وحولاً بمنه عليه وقوة ، فإنه لا حول ولا قوة إلا به ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وهذا الكتاب ينقسم قسمين : القسم الأول منه في ذكر العلل خاصة ، والثاني في المسائل المجردة ، ليكون أسهل متناولاً وبالله التوفيق .

(١) أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج أستاذ الزجاجي الذي نسب إليه . أخذ النحو عن ثعلب ثم مال عنه الى المبرد ولزمه . مات سنة ٣١١ وتجد ترجمته في بغية الوعاة ١٧٩ وفي أنباء الرواة ١ : ١٥٩ وطبقات الزبيدي : ١٢١ وأخبار النحويين البصريين : ١٠٨ وتاريخ بغداد ٦ : ٨٩ .

(٢) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد كبير نحاة البصرة في عصره وصاحب كتاب الكامل أخذ عن الجرمي والمازني . مات سنة ٢٨٠ ترجمته في طبقات الزبيدي : ١٠٨ وفي نزهة الألبا : ٢٧٩ .

باب أقسام الكلام^(١)

فأول ما نذكر من ذلك إجماع النحويين على أن الكلام اسم وفعل وحرف .
وحقق القول بذلك وسطره في كتابه سيبويه ، والناس بعده غير منكرين عليه
ذلك .

نبدأ بما يسأل عنه أصحاب سيبويه وما يحتاج به له . يقال لأصحابه وسائر
من اعتقد هذا المذهب : من أين لكم أن كلام العرب كله اسم وفعل وحرف ؟
وكيف حكمتم بذلك وشهدتم بصحته من غير دليل ولا برهان وإنما ذكره سيبويه
في أول كتابه حين قال « الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى^(٢) » فقال قائلون :
لأننا قصد / الكلام العربي دون غيره . وقال آخرون بل أراد الكلم العربي كله
والعجمي^(٣) . وفي ذلك احتجاج ونظر لم نقصد له في هذا الكتاب لأننا قد شرحناه
في كتاب شرح الرسالة^(٤) بجميع ما فيه ، ولسنا نخاطبكم إلا على أنه قصد الكلم
العربي دون سائر اللغات ، لأن الجواب عن ذلك أسهل عليكم وأقرب . ثم
مثل سيبويه كل صنف من ذلك ولم يقرنه بدليل قاطع ولا حجة فيدل على أن
الكلام ثلاثة أقسام كما ذكروا ، وأنه لا رابع لهذه الأقسام ولا خامس ولا أكثر
من ذلك . فإن كنتم قبلتم ذلك عنه تقليداً من غير برهان ولا حجة ، فأنتم في عمياء
وشبهة فما دعاكم إلى قبول ذلك منه وقد علمتم أن النحو علم قياسي ومسبار لأكثر
العلوم لا يقبل إلا براهين وحجج . ما خلا ما لزم قبوله من علوم الشريعة بعد
وضوح الدلائل وإقامة البراهين والدلائل العقلية الحقيقية على لزوم الحجة ، وأنتم

٤/أ

(١) ليس لهذا الباب عنوان في الاصل .

(٢) قول سيبويه في « الكتاب » ٢:١ هو « الكلم اسم وفعل وحرف جاء
لمعنى ليس باسم ولا فعل » .

(٣) فصل القول في ذلك السيرافي في شرح كتاب سيبويه ١:٦٥ .

(٤) يعني شرح مقدمة الكتاب . وقد سبق ذكرها في ص ٧ .

جعلتم أول قبولكم من صاحبكم ما ادّعاه من غير برهان ولا بيان وما تؤمنكم من أن يعارضه معارض يقول لكم : كلام العرب : أكثر من هذه الأقسام . فبأي شيء تصلون إلى بطلان دعواه وتصحيح دعوى صاحبكم ؟

الجواب أن يقال له : إن من الأشياء أشياء تعرف ببديهة العقل بغير برهان ولا دليل ، بها يُستدل على المشكل الملبس والغامض الخفي ، كما أنا نعلم ببديهة بغير دليل أن وجود جسمٍ في حال واحدة ساكناً متحركاً ، أو لا ساكناً ولا متحركاً محال . . إلا في حال خلق الله عز وجل كما علم ذلك استدلالاً ؛ وكما أنا نعلم أن وجود جسم واحد في مكانين في حال واحدة ووقت واحد محال ؛ كما أن وجوده لا في مكان محال ؛ ومن الأشياء ما يُعرف بالدلائل الواضحة القريبة المتفق عليها التي لا تُشكل على أحد حتى تقوم مقام ما يُعرف ببديهة بغير استدلال .

ونحن نعلم أن الله عز وجل إنما جعل الكلام ليعبّر به العباد عما همجس في نفوسهم ، وخاطب به بعضهم بعضاً بما في ضمائرهم مما لا يوقف عليه / بإشارة ولا إيماء ولا رمز بحاجب ولا حيلة من الحيل ؛ فإذا كان هذا معقولاً ظاهراً غير مدفوع فيبين أن المخاطب والمخاطب والخبر عنه والخبر (به) أجسام وأعراض تنوب في العبارة عنها أسماؤها ؛ أو ما يعتوره معنى يدخله تحت هذا القسم من أمر أو نهي أو نداء أو نعت أو ما أشبه ذلك مما تختص به الأسماء ، لأن الأمر والنهي إنما يقعان على الاسم النائب عن المسمى ؛ فالخبر إذاً هو غير الخبر والخبر عنه وهما داخلان تحت قسم الاسم ؛ والخبر هو الفعل وما اشتق منه أو تضمن معناه وهو الحديث الذي ذكرناه ولا بد من رباط بينهما^(١) وهو الحرف ؛ ولن يوجد إلى معنى رابع سبيل فيكون للكلام قسم رابع ؛ وهذا معنى قول سيويوه الكلم اسم وفعل وحرف ؛ وقد روي لنا أن أول من قال ذلك أمير المؤمنين علي بن

ب/٤

(١) في الاصل « بين » .

أبي طالب صلوات الله عليه ؛ اعني قوله الكلام اسم وفعل وحرف ؛ ثم يقال له :
 قد دللنا على صحة مذهب صاحبنا وأريناك أن اعتقادنا ليس تقليداً بل ببحث
 ونظر . والمدعى ان للكلام قسماً رابعاً او أكثر منه مُخْمَنٌ او شاكٌ ؛ فإن كان
 متيقناً فليوجد لنا في جميع كلام العرب قسماً خارجاً عن أحد هذه الأقسام
 ليكون ذلك ناقضاً لقول سيبويه ؛ ولن يجد إليه سبيلاً ؛ وليس يجب علينا ترك
 ما قد تيقناه وعرفناه حقيقةً وصحّ في العقول لشك من شك بغير دليل ولا برهان ؛
 لأن الشكوك لا تدفع الحقائق وبالله التوفيق ١١ ؛

سؤال آخر على أصحاب سيبويه . يقال لهم : لم سمى سيبويه وغيره هذه
 الأشياء أسماءً وأفعالاً وحروفاً؛ اعني قولهم رجل وزيد؛ وقام يقوم ؛ ومن وإلى
 وما أشبه ذلك ، وقد علمت أنها كلها أفعال المتكلم لأنها كلام ونطق ، والكلام
 يفعله المتكلم ويوجد بعد أن لم يكن ، فهو فعل من أفعاله ، ولستم ممن يقول إن
 الاسم هو المسمى لفساد ذلك عندكم / فزيد إذاً غير من هو دالّ عليه . وقام في
 قولك قام زيد ، ليست هذه اللفظة بفعل زيد وإنما هي فعل المتكلم ، وفعل زيد
 حركته وهذه عبارة عنها ، وكذلك سائر هذه الأشياء إنما هي أفعال المتكلمين
 فلم ترتبها النحويون هذه المراتب وسموها بغير استحقاقها ؟

الجواب أن يقال : إن هذه الأشياء وإن كانت كما ذكرتم أفعالاً للمتكلمين
 الناطقين بها ، فهي مختلفة المعاني متباينة المجاري في طريق الإعراب . وكل واحد
 منها له نحو في كلامهم ليس للآخر ، ووجه ينفرد به ، فلما كان ذلك كذلك
 وجب الفرق بينها وأن يوسم كل جنس منها بأشكال الأشياء به ، فجمع بذلك

(١) قال أبو البركات بن الانباري « فان قيل فلم قلتم ان أقسام الكلام
 ثلاثة لا رابع لها ؟ قيل : لانا وجدنا هذه الاقسام الثلاثة يعبر بها عن جميع
 ما يخطر بالبال ويتوهم في الخيال ولو كان ها هنا قسم رابع لبقى في النفس
 شيء لا يمكن التعبير عنه الا ترى أنه لو سقط أحد هذه الاقسام الثلاثة لبقى
 في النفس شيء لا يمكن التعبير عنه بازاء ما سقط فلما عبر بهذه الاقسام عن
 جميع الاشياء دل على أنه ليس الا هذه الاقسام الثلاثة » أسرار العربية : ٢٠

أشياء ، منها الفرق بين بعضها وبعض أنها وإن كانت قد جمعها أنها أفعال فهي أنواع . كما أن من أفعال العباد القيام والعود والحركة والسكون وما أشبه ذلك ولكل نوع منها سمة ينفرد بها ، وهي كلها أفعال . ومنها أن نعرف مجازيها في الإعراب ، ومنها (١) أن يسهل على متعلم العربية التوصل إليها إذا قسمت هذه الأشياء وفصلت وحصل لكل نوع منا ما ينفرد به وما يشركه فيه غيره ، فلما لم يكن من ذلك بد^٢ كان أولى الأشياء باللفظة الموضوع على المسمى الدالة عليه ، أن يقال لها اسم وإن كانت فعلاً لغيره ، وهي دالة على المسمى بها وسمية له ، فكان أولى الأشياء من هذه الأقسام الثلاثة المسمى فعلاً ، ما كان عبارة عن فعل زيد وهي فعل للمتكلم فاعتورتها الفعلية من جهتين ، فسميت لذلك فعلاً دون الاسم والحرف .

وسمي القسم الثالث حرفاً لأنه حد ما بين هذين القسمين ورباط لهما ، والحرف حد الشيء ، فكأنه لوصله بين هذين كالحروف التي تلي ما هو متصل بها ، وهذا بين واضح (٢) . وكان أبو العباس محمد بن يزيد المبرد يقول « اجيز ان أسميها كلها أسماء » يذهب في ذلك / إلى أن قولنا « زيد » كلمة دالة على مسمى ، وقولنا « قام » كلمة دالة على حدث في زمان ، وقولنا « إن ومن ولم » وما أشبه ذلك كلمة دالة على معنى ، وكل واحد منها اسم لما دل عليه . وقال : « ويجوز ان اسميها كلها حروفاً . وكأنها قطع الكلام متفرقة . ويجوز ان اسميها أفعالاً » على غير طريقة أوضاع النحو بل على الحقيقة التي قدمنا ذكرها .

هـ / ب

وأما الاحتجاج للأولين الذين زعموا ان الكلام كله اسم وفعل وحرف .

(١) في الاصل « ففيها » .

(٢) وقال ابن الانباري « فان قيل لم سمي الحرف حرفاً ؟ قيل لان الحرف في اللغة هو الطرف . ومنه يقال حرف الجبل أى طرفه . فسمى حرفاً لانه يأتي في طرف الكلام « أسرار العربية : ٦ » .

فجعلوا العربي وغيره في ذلك سواء ، فهو بعينه الاحتجاج الذي تقدم ذكره لمذهب سيبويه ، لأن الكلام إذا كان مقصوداً به الإبانة عن الضمائر ومحتاجاً إليه للخطاب والمحاورات فكل فريق يخاطب بلغته كخطاب من تأتبه في لغته . وإن كان تقدم في ذلك للعرب حسن بيان ، وفضل نظم وحكمة ، لما حباها الله عز وجل بذلك تخصيصاً منه وتكرمة ، فإذا كان كذلك ، كان مرجع ذلك كله إلى أصل واحد ، وهذا غير مشكل ، وقد اعتبرنا ذلك في عدة لغات عرفناها سوى العربية فوجدناه كذلك ، لا ينفك كلامهم كله من اسم وفعل وحرف ، ولا يكاد يوجد فيه معنى رابع ولا أكثر منه ؛ وإن كان ليس له ترتيب العربي ونظمه وحسن تأليفه ؛ فأما القول فيما قاله سيبويه في كتابه هذا باب علم ما الكلم من العربية (١) ، وما في ذلك من الألفاظ والوجوه ؛ فقد ذكرته أجمع في كتاب أفردته لتفسير رسالة كتاب سيبويه ، فكرهت تطويل هذا الكتاب .

باب القول في إختلاف النحويين

في تحديد الإسم والفعل والحرف

فإن قال قائل : لم اختلف النحويون في تحديد الاسم^(١) والفعل والحرف ؟ وهل يجوز أن يختلف الحد إذا كان قولاً وجيزاً يدل على طبيعة الشيء الموضوع له عند الفلاسفة ؟

٦ / أ

وعندنا الحدّ هو الدال على حقيقة الشيء^(١) ؛ فكيف يجوز إختلاف هذا وهل يجوز أن يُحدَّ الإنسان / لمن سأل عن حده إلا بأن يقال له : الحيّ الناطق المائت ؛ لأن هذا هو حده على الحقيقة وينعكس عليه بمعناه ؛ كقولنا : المائت الناطق الحي هو الإنسان ؛ ولا يجوز أن يحد الإنسان بغير هذا الحد ؛ فإن حده بغيره إنسان كان مخطئاً ؛ إلا أن يعدل عن حده إلى بعض صفاته ورسومه الدالة عليه كقولنا : الإنسان حيوان ذو رجلين منتصب القامة ضحّاك ؛ وما أشبه ذلك .

الجواب أن يقال : إن الحد لا يجوز أن يختلف إختلاف تضاد وتنافر ؛ لأن ذلك يدعو إلى فساد المحدود وخطأ من يحده ؛ ولكن ربما اختلفت ألفاظه على حسب إختلاف ما يوجد منه ؛ ولا يدعو ذلك إلى تضاد المحدود ؛ كما يوجد الحد تارة من الأجناس والفصول ؛ وتارة من المواد والصور لأن المادة تشاكل الجنس ؛ والصورة تشاكل الفصل ؛ ألا ترى أن الفلاسفة الذين هم معدن هذا العلم - أعني معرفة الحدود والفصول والخواص - وما أشبه ذلك - قد اختلفوا في تحديد الفلاسفة

(١) قال الفاكهي في « الحدود النحوية » اعلم أن الحد والتعريف في عرف النحاة والفقهاء والاصوليين اسمان لمسمى واحد وهو ما يميز الشيء عما عداه . ولا يكون كذلك الا ما كان جامعاً مانعاً .

وهذا ما أخذ به النحاة . أما المناطقة فيميزون بين الحدود والخواص ، والحد عندهم لا يتعدد ، وهم الزجاجي اذ اعتبرهم كالنحويين في ذلك .

نفسها اختلافاً ، فقال بعضهم : الفلسفة إتيان الحكمة . وقال بعضهم : الفلسفة معرفة طبيعية لجميع الأشياء الموجودة . وقال آخرون : الفلسفة معرفة الأشياء الموجودة الإلهية ، ويعنون المدركة عقلاً ، ومعرفة الأشياء الإنسية ، يعنون الأشياء المدركة بالحواس . وقال بعضهم : الفلسفة معاناة الموت ، أي تعاطي الموت ، يعني إماتة الشهوات ، وهذا زعموا حد أفلاطن . وقال آخرون : الفلسفة الاقتداء بالباري حسب طاقة المخلوق . وقال ارسطاطاليس : الفلسفة صناعة الصناعات وعلامة العلوم . أفلا تراهم كيف قد اختلفوا هذا الاختلاف ، وليس فيه تناقض لأن كل واحد منهم قصد إلى طريقٍ ما فحدها منه ، وإنما ذكرنا هدة الألفاظ في تحديد / الفلسفة ها هنا وليس من أوضاع النحول لأن هذه المسألة^(١) ب / نجيب عنها من يتعاطى المنطق وينظر فيه . فلم نجد بدءاً من مخاطبتهم من حيث يعقاون، وتفهميم من حيث يفهمون . فكذلك يقول النحويون لهم ايضاً في تحديد الاسم والفعل والحرف ، كأن لكل فريق منهم غرضاً^(٢) في تحديده وقصده . فمنهم من أراد التقريب على المبتديء ، فحدها من جهة تقرب عليه . ومنهم من أراد حصر أكثرها ، فأتى به . ومنهم من طلب الغاية القصوى والحد على الحقيقة ، فحدها على الحقيقة على ما ذكرنا . وليس في شيء مما أتوا به ما يخرج عما ذكرناه . وذلك بين في كلامهم لمن تدبره . وهو نظير ما تقدم ذكره من تحديد الفلسفة .

(١) في الاصل « المسألة التي نجيب .. »

(٢) في الاصل « غرض » .

باب معرفة حدّ الاسم والفعل والحرف

قد حدّ النحويون هذه الأشياء على ضروب . وذكر كلها يطول
ويطيل الكتاب ، وقد شرطنا الاختصار والإيجاز ، فنذكر أجد ما قيل
في ذلك ، والمختار منه ، وما يلزم من خالف ، وما اخترناه ، وبالله التوفيق .

حدّ الاسم

الاسم في كلام العرب ما كان فاعلاً أو مفعولاً أو واقعاً في حين
الفاعل والمفعول به . هذا الحد داخل في مقاييس النحو وأوضاعه ، وليس
يخرج عنه اسم البتة . ولا يدخل فيه ما ليس باسم ، وإنما قلنا في كلام
العرب ، لأننا له نقصد ، وعليه نتكلم ، ولأن المنطقيين وبعض النحويين قد
حدوه حدّاً خارجاً عن أوضاع النحو ، فقالوا : الاسم صوت موضوع
دال باتفاق على معنى غير مقرون بزمان^(١) . وليس هذا من ألفاظ
النحويين ولا أوضاعهم ، وإنما هو من كلام المنطقيين وإن كان قد تعلق
به جماعة من النحويين . وهو صحيح على أوضاع المنطقيين ومذهبهم لأن
غرضهم غير غرضنا ، ومغزاهم غير مغزانا ، وهو عندنا على أوضاع
النحو غير صحيح ، لأنه يلزم منه أن / يكون كثير من الحروف أسماء ،
لأن من الحروف ما يدل على معنى دلالة غير مقرونة بزمان ، نحو إن
ولكن وما أشبه ذلك^(٢) .

١/٧

فإن قال المحتج منهم : هذا غير لازم لأننا إذا قلنا « زيد » فقد دلّ على مسمى
تحت دلالة غير مقرونة بزمان ، وإذا قلنا « أن ولكن » لم يدل على شيء ؛ ولم

(١) جاء في الصحابي أن هذا الحد نقل عن الزجاج وتجد فيه أقوالاً في
حد الاسم لسيبويه والكسائي والرخفش وهشام والمبرد والزجاج وغيرهم ،
الصحابي ٤٩ - ٥١ .

(٢) المنطقيون أشدّ تحرجاً في الحد وكونه جامعاً مانعاً ، ولكن الزجاجي
لم ينتبه إلى أنهم لا يعتبرون الحروف ، لأنها لا تستقل بالمعاني وإنما هي
عندهم روابط .

يكن كلاماً حتى يقرن بجملة . قيل له : الاسم يدل على مسماه كما ذكرت ، ولا تحصل منه فائدة مفرداً حتى نقرنه باسم مثله ، أو فعل ، أو جملة ، وإلا كان ذكره له لغواً وهذراً غير مفيد . وكذلك الحرف إذا ذكرته دلّ على المعنى الموضوع له ، ثم لم تكمل الفائدة بذكره إياه حتى نقرنه بما تكمل به فائدته ، فهو والاسم في هذا سواء لا فرق بينهما .

وقال آخرون : الاسم صوت موضوع دال باتفاق على معنى بلا زمان ، ولا يدل جزؤه على شيء من معناه . وهذا أيضاً من كلام القوم ، وإن كانت فيه هذه الزيادة اليسيرة ، وقد مضى القول فيه .

وأما سيبويه فلم يجد الاسم حداً يفصله من غيره ، ولكن مثله فقال « والإسم رجل وفرس »^(١) . فقال أصحابه ترك تحديده ظناً منه انه غير مشكل^(٢) ، وحد الفعل لأنه عنده أصعب من الاسم . ونحن نذكر ما حده به في موضعه .

وقال الأخفش سعيد بن مسعدة :^(٣) الاسم ما جاز فيه نفعي وضرّي . يعني ما جاز ان ينجر عنه ، وإنما أراد التقريب على المبتدئ كما ذكرت لك فيما مضى ولم يرد التحقيق . وفساد هذا الحد بين ، لأن من الأسماء ما لا يجوز الإخبار عنه نحو كيف وأين ومتى وأنّى وأيان ، لا يجوز الإخبار عن شيء منها ، وهي داخلة في حدنا الذي قدمنا ذكره لأنهما في حيز المفعول به لأن « كيف » سؤال عن الحال ، والحال مفعول بها عند البصريين ، وعند الكسائي هي مضارعة للوقت

(١) الكتاب ٢:١ وفصل السيرافي ذلك في شرح الكتاب ١:٧ وحد الاسم بقوله : « كل شيء دل لفظه على معنى غير مقترن بزمان محصل من مضى أو غيره فهو اسم » .

(٢) قال ابن الانباري « ومنهم من قال لا حد له ولهذا لم يحده سيبويه وإنما اكتفى فيه بالمثل فقال الاسم رجل وفرس » أسرار العربية : ٥ .

(٣) هو الأخفش الاوسط . أخذ النحو عن سيبويه وكان معتزلياً حاذقاً في الجدل مات سنة ٢١٠ وترجمته في بغية الوعاة : ٢٥٨ وطبقات الزبيدي : ٧٤ ونزهة الألبا : ١٨٥ وأنباه الرواة ٢:٣٦٠ .

٧/ ب والوقت مفعول فيه . وهي عند الفراء / بمعنى الجزاء الممكن وغير الممكن . وله في ذلك شرح طويل ، إلا أنه لا يتبع الفعل بعد الفاعل إلا مفعول ، او ما كان في حيزه . و « اين » وأخواتها ظروف ، والظروف كلها مفعول فيها ، وقال آخرون : الإسم ما دل على مسمى . وهذا وصف له لا حد .

وقال أبو بكر بن السراج (١) : الإسم ما دل على معنى ، وذلك المعنى يكون شخصاً وغير شخص . وهذا ايضاً حد غير صحيح ، لأن قوله الإسم ما دل على معنى يلزمه منه أن يكون ما دل من حروف المعاني على معنى واحد إسمياً نحو أن ولم وما أشبه ذلك . وليس قوله وذلك المعنى يكون شخصاً وغير شخص ، بمخرج له عما ذكرنا ، بل يؤكد عليه الإلزام ، لأنه إن جعل أحد قسمي المعنى الذي دل على الإسم واقعاً على غير شخص ، فحروف المعاني داخلة معه ، وهذا لازم له . وكان مما اختاره ابو الحسن بن كيسان (٢) عند تحصيله وتحقيقه ان قال حاكياً عن بعض النحويين : الأسماء ما أبانت عن الأشخاص ، وتضمنت معانيها نحو رجل وفرس ، ثم قال : وهذا قول جامع . وعوار هذا الحد أظهر من ان نكثر الكلام فيه ، لأن من الأسماء ما لا يقع على الاشخاص وهي المصادر كلها . ولابن كيسان في كتبه حدود للإسم غير هذا هي من جنس حدود النحويين . وحده في الكتاب المختار (٣) بمثل الحد الذي ذكرناه من كلام المنطقيين .

(١) هو محمد بن السري السراج أخذ عن المبرد واليه انتهت رياسة النحو بعده . وأخذ عنه الزجاجي والسيرافي والفارسي والرماني مات سنة ٣١٦ ترجمته في طبقات الزبيدي : ١٢٢ ونزهة الألبا : ٣١٣ ومعجم الادباء ١٩٧:١٨ وانباء الرواة ٣: ١٤٥ .

(٢) هو محمد بن أحمد بن كيسان . أخذ عن ثعلب والمبرد . وأتقن المذهبين البصري والكوفي توفي سنة ٢٩٩ ترجمته في طبقات الزبيدي : ١٧٠ ومعجم الادباء ١٧: ١٣٨ ونزهة الالبيا : ٣٠١ وأخبار النحويين البصريين للسيرافي : ١٠٨ .

(٣) من كتب ابن كيسان « المختار في علل النحو » في ثلاثة مجلدات . ذكره ياقوت في معجمه ١٧: ١٣٨ .

فأما حد أبي العباس المبرد^(١) للاسم فهو الذي ذكره في أول المقتضب^(٢) ، حين قال : الإسم ما كان واقعا على معنى ، نحو رجل و فرس و زيد و عمرو و ما أشبه ذلك ، ويعتبر الإسم بواحد كل ما دخل عليه حرف من حروف الخفض فهو اسم ، فإن امتنع من ذلك فليس باسم . وليس غرض أبي العباس هاهنا تحديد الاسم على الحقيقة ، وإنما قصد التقريب على المبتدئ ، فذكر أكثر ما يعم الأسماء المتمكنة . وقوله ما دلّ على معنى هو الذي أخذته ابن السراج وقسمه قسمين حين قال : وذلك المعنى يكون شخصاً وغير شخص . وقد ذكرنا ما يلزمه / ٨ / أ

وقد أخذ على المبرد أيضاً في هذا الحد قوله : ما دخل عليه حرف خفض فهو اسم ، وما امتنع منه فليس باسم . وقيل : إن من الأسماء ما لا تدخل عليه حروف الخفض ، نحو : كيف ، وصه ، ومه ، وما أشبه ذلك . وللناضل عن أبي العباس في هذا جوابان : أحدهما ما قدمنا ذكره ، وهو أنه قصد الإبانة عن الأسماء المتمكنة الجارية بالإعراب ، أو المستحقة له ، وهي لا تنفك مما ذكرته ، ولم يرد الإحاطة بالأسماء كلها .

والجواب الآخر هو ما احتججت به أنا عنه ، واستخرجته له . ولم أر أحداً من أصحابنا ذكره . أقول : إن حد أبي العباس هذا في قوله تعتبر الأسماء بدخول حروف الخفض عليها ، غير فاسد ، لأن الشيء قد يكون له أصل مجتمع عليه ، ثم يخرج منه بعضه لعله تدخل عليه ، فلا يكون ذلك ناقضاً للباب ، بل يخرج منه ما خرج بعلته ، ويبقى الثاني على حاله . ألا ترى ان إجماع النحويين كلهم على أن أصل الإعراب للأسماء ، وأصل البناء للحروف والأفعال ، غير طائفة زعموا

(١) ذكرنا ترجمته في ص : ٤٠ .

(٢) المقتضب كتاب للمبرد في النحو طبع حديثا في القاهرة .

ان الأفعال ايضاً مستحقة في الأصل للاعراب ، إلا انهم مجمعون على أن الأسماء كلها مستحقة في الأصل للإعراب ، ثم نرى كثيراً منها غير مُعرَّب لعلل فيها ، ولا يكون ذلك مخرجاً لها عن الاسمية . وكذلك الأفعال عند البصريين خاصة ، كلها مستحقة للبناء لعلل نذكرها في موضعها من هذا الباب ، ثم قد رأينا جنساً منها مُعرَّباً لسبب أوجب له ذلك ، وليس ذلك بمُخرجٍ له من الفعلية . ولهذا نظائر كثيرة . وكذلك الأسماء مستحقة لدخول حروف الخفض عليها في الأصول ، ثم إن عرض لبعضها علة تمنعه من ذلك ، فليس ذلك بناقضٍ لحدّها واستحقاقها . وهذا بين لمن تدبره .

سؤال على أصحاب المبرّد وغيره . إن قال قائل : فما العلة التي منعت هذه الأسماء / من دخول حروف الخفض عليها ، وقد ذكرت أن الأسماء كلها مستحقة لدخول حروف الخفض عليها وأنه لا يمتنع من ذلك إلا مادخلته علة ؟ .

ب / ٨

الجواب ان يقال : أما « كيف » فلإنما امتنعت من ذلك لأنها سؤال عن حال ، والحال لا يسوغ دخول حروف الخفض عليها في قولك هذا عبد الله صحيحاً وذلك عبد الله منطلقاً ، وأقبل زيد راكباً ، فكان ما وُضع موضع الحال ممتنعاً مما امتنعت منه . اما « صه ومه » فلإنهما واقعان موقع فعل الأمر . فعنى صه اسكت ومعنى مه اكفف ، ودخول حروف الخفض على الفعل محال ، لعلل تذكر في موضعها من هذا الكتاب ، فلذلك لا تدخل على ما وقع موقعه . وقد حدثت الأسماء بحدود كثيرة غير هذا ، كرهننا الإطالة بذكرها ، لأن فيا ذكرنا دليلاً عليها (١)

حدّ الفعل

الفعل على أوضاع النحويين ، ما دلّ على حدّث ، وزمان ماض او مستقبل (٢)

(١) تجد كثيراً من حدود النحاة للاسم وما أخذ عليهم فيها قي « الصحابي » ص ٤٩ وما بعدها وقال ابن الأنباري « ذكر فيه النحويون حدوداً كثيرة تنيف على سبعين حداً » أسرار العربية : ٥٠ .
(٢) يغفل الزجاجي في هذا الحد دلالة الفعل على الحال . وسيمر بك رأيه مفصلاً في ص ١/٢٦ .

نحو قام يقوم : وقعد يقعد ، وما أشبه ذلك . والحدّث المصدر . فكل شيء دل على ما ذكرناه معاً فهو فعل . فإن دلّ على حدّث وحده فهو مصدر ؛ نحو الضرب والحدّ والقتل . وإن دلّ على زمان فقط فهو ظرف من زمان . وهذا معنى قول سيبويه «وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبُنيت لما مضى ولما يكون ولما هو كائن لم ينقطع» (١) . وقد أشبعت المعنى في تفسير كلام سيبويه هذا ، في تفسير رسالته فكرهت الإطالة بإعادته ها هنا ، لأنه ليس موضعه .

وحدّث بعض النحويين الفعل بأن قال : هو ما كان صفة غير موصوف ؛ نحو قولك : هذا رجل يقوم . فيقوم صفة لرجل ؛ ولا يجوز أن تصف يقوم بشيء . قيل له فان الظروف (٢) قد تكون صفات للأسماء ، ولا توصف هي . فقال : الظروف واقعة مواقع الأفعال ، فالأفعال على الحقيقة هي التي يوصف بها . وليس ما / قاله بشيء ، لأننا قد نرى الظروف توصف في قولنا : مكاناً طيباً ، ومكاناً حسناً وجلسنا مجلساً واسعاً ، وما أشبه ذلك (٣) .

وقد ذكرنا أن الأفعال عبارة عن حركات الفاعلين ، وليست في الحقيقة أفعالاً للفاعلين ، إنما هي عبارة عن أفعالهم ، وأفعال المعبرين عن تلك الأفعال . وإذا كان ذلك كما ذكرنا ، والحركة لا تبقى وقتين ، بطل من ذلك أن يكون فعل دائم . فحال قول من قال من الكوفيين فعل دائم . ونحن نذكر حقيقة القول في فعل الحال في موضعه إن شاء الله (٤) .

(١) قال سيبويه : « وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الاسماء وبُنيت لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع » الكتاب ٢:١ وقوله أمثلة أخذت من لفظ أحداث الاسماء يعني أبنية أخذت من المصادر .
وفصله السيرافي في الشرح ٩،٨:١ .
(٢) في الاصل « فان الظرف » .
(٣) انظر ما قيل في حد الفعل في الصاحبي : ٥٢ وفي أسرار العربية: ٦.
(٤) انظر ص ٢١/أ .

وأما القول في الفعل والمصدر ، وأيهما مأخوذ من صاحبه ، فإننا نذكره بعقب هذا الباب إن شاء الله .

حدّ الحرف

الحروف على ثلاثة أضرب ، حروف المعجم التي هي أصل مدار الألسن عربيها وعجميها ، وحروف الأسماء والأفعال . والحروف التي هي أبعاضها نحو العين من جعفر والضاد من ضرب وما أشبه ذلك ، ونحو النون من أن واللام من لم وما أشبه ذلك . وحروف المعاني التي تجيء مع الأسماء والأفعال لمعان .

فأما حروف المعجم فهي أصوات غير متوافقة ^(١) ، ولا مقترنة ، ولا دالة على معنى من معاني الأسماء والأفعال والحروف ، إلا أنها أصل تركيبها .

وأما الحروف التي هي أبعاض الكلم ، فالبعض حد منسوب إلى ما هو أكثر منه ، كما أن الكل منسوب إلى ما هو أصغر منه .

وأما حدّ حروف المعاني وهو الذي يلتمسه النحويون، فهو أن يقال: الحرف ما دلّ على معنى في غيره ^(٢) ، نحو من وإلى وثم وما أشبه ذلك . وشرحه أن « من » تدخل في الكلام للتبويض ، فهي تدل على تبويض غيرها ، لا على تبويضها نفسها ، وكذلك إذا كانت لابتداء الغاية ، كانت غاية غيرها . وكذلك سائر وجوهها . وكذلك « إلى » تدل على المنتهى ، فهي تدل على منتهى غيرها ، لا على منتهىها نفسها ، وكذلك سائر حروف المعاني ^(٣) .

(١) في الاصل « موافقة » .

(٢) قال ابن يعيش عن الحرف « قولهم ما دل على معنى في غيره ، أمثل من قول من يقول : ما جاء لمعنى في غيره . لان قولهم ما جاء لمعنى في غيره اشارة الى العلة ، والمراد من الحد الدلالة على الذات لا على العلة التي وضع لاجلها ، اذ علة الشيء غيره » شرح المفصل ٢:٨ .

(٣) قال السيرافي « وان سأل سائل فقال . لم قال وحرف جاء لمعنى وقد علمنا أن الاسماء والأفعال جئن لمعان ؟ قيل له انما أراد وحرف جاء لمعنى

وقال / بعض النحويين : الحرف ما خلا من دليل الاسم والفعل . وقال ٩ / ب
 آخرون : الحرف ما لا يستغنى عن جملة يقوم بها نحو : لن يقوم زيد ، وما خرج
 بكر ، وإن أخاك شاخص ، وإن محمداً في الدار . لا بد أن يكون بعده إسمان ،
 أو إسم وفعل ، أو إسم وظرف . وهذا وصف للحرف صحيح ليس بحد له .
 وقال بعضهم : الحرف ما خلا من دليل الاسم والفعل ، فلم يسغ فيه شيء مما
 ساغ فيهما . وهذا وصف للحرف وليس بحد له ، وحده ما ذكرته لك .

←
 في الاسم والفعل « شرح الكتاب ١ : ٧٠ » وقد أكثر أهل العربية في حد الحرف
 وأقرب ما فيه ما قاله سيبويه أنه الذي يفيد معنى ليس في اسم ولا فعل ،
 نحو قولنا « زيد منطلق » ثم نقول « هل زيد منطلق » فأفدنا بـ « هل » ما لم
 يكن في « زيد » ولا « منطلق » الصاحبي : ٥٣ .

باب القول في الفعل والمصدر . أيهما مأخوذ من صاحبه ^(١)

قال سيبويه وجميع البصريين : الفعل مأخوذ من المصدر والمصدر سابق له فهو اسم الفعل . وهذا معنى قول سيبويه « وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الاسماء » وأحداث الاسماء المصادر . وفي الكلام اختصار وحذف تقديره من لفظ أحداث أصحاب الاسماء . ويجوز أن يكون أقام الاسماء مقام المسميات بها في الإخبار عنها ، إذ كان لا يتوصل إليها إلا بها كما ذكرنا ، فيقول قام زيد قياما ، قام مأخوذ من القيام . وكان يجب أن يقال فعل زيد القيام . واستدل بحروف قام على الحدث ، وبينائه على الزمان ، وبحركاته على تسمية الفاعل بعده . قال الفراء ^(٢) وجميع الكوفيين : المصدر مأخوذ من الفعل ، والفعل سابق له وهو ثانٍ بعده .

نبداً بذكر احتجاج البصريين لمذهبهم لانه عندنا الصحيح . ونذكر بعده احتجاج الكوفيين لمذهبهم ولإلزامهم البصريين ما ألزموه ، وانفصال البصريين منه إن شاء الله .

دليل البصريين على أن المصدر قبل الفعل . قالوا : من الدليل على أن الفعل مأخوذ من المصدر أن المصدر اسم الفعل . وقد اتفقنا جميعاً على أن الاسم سابق الفعل ، فوجب ان تكون المصادر سابقة للأفعال . ألا ترى أننا نفعّل الضرب

(١) أورد ابن الأنباري هذه المسألة في كتابه « الانصاف في مسائل الخلاف » وفصل فيها حجج كل من البصريين والكوفيين . وهي المسألة الثامنة والعشرون . وكذلك فصل القول فيها في « أسرار العربية » ص ٦٩ .
وأما السيرافي فقد أورد ثلاثة أدلة لاثبات اشتقاق الفعل من المصدر في شرح الكتاب ١ : ٩٠ .

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن زياد . أخذ عن الكسائي . وكان فقيها عالماً في النحو واللغة . مات سنة ٢٠٧ . ترجمته في نزهة الالباء : ١٣٤ ومعجم الادباء ٢٠ : ٩ .

أ/١٠ /واخرج والأكل وما أشبه ذلك قبل فعل زيد له، ثم يفعله زيد فيخبر عنه بذلك، ولولا أنا فعله ونعرفه لم نفهم الإخبار عنه. والمصدر الحدث، لأنه الحدث الذي أحدثه زيد، ثم حدث عنه، والفعل حديث عنه، والحدث سابق للحديث عنه. اعتراض على من احتج منهم. قيل له: ليس الأمر كما ذهبت إليه، ولسنا نقول: إن الأسماء قبل الأفعال مطلقاً، بل نقول إن الاسم قبل فعله الذي يفعله، وقد اصطالحنا على أن زيد بالاسم المسمى في هذا الفصل لأنه ينوب عنه في الإخبار فنقول زيد سابق لفعله الذي يفعله، وليس يجب من هذا أن يكون سابقاً لفعل غيره، وإذا كان هذا كما ذكرنا فليس يجب أن يكون المصدر، إذا كان اسماً لفعل. أن يكون سابقاً له، لأننا نطلق أيضاً أن يكون الاسم سابقاً للمسمى، ولا موجوداً بعده، بل اسمه لازم له موجود معه حين وجوده، وإنما زيد بالاسم معنى استحقاقه التسمية، ألا ترى شخصاً ما حين وجوده يجوز أن تسميه زيداً، ثم تنقله عنه فتسميه بكراً، ثم تنقله عنه فتسميه عمراً، واستحقاقه للتسمية لم ينتقل عنه وهو موجود بوجوده، ألا ترى أنه يقع عليه شيء ولا يفارقه، فهو شيء على كل الأحوال. ولذلك غلط قوم فتوهّموا أن الاسم هو المسمى. وقد يسمي بعضهم المعلوم شيئاً. وأباه آخرون. واحتج الأولون بقول الله عز وجل (كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً) (١) فقالوا قد سمى المعلوم شيئاً. وقال مخالفوهم ليس كذلك لأن السراب ليس بمعلوم على الحقيقة لأنه (٢) لمعان الشمس على الحصا في اشتداد الحر عند الهاجرة. ولمعان الشمس هو شيء ما، ليس بمعلوم فلما نظر إليه العطشان من بعد، لم يكن في قوة بصره إدراكه على الحقيقة، فظن لمعان الشمس ضوء الماء فلما قرب منه وتبينه لم يجده/ كما توهّمه. فقوله عز وجل «لم يجده شيئاً» [يعني شيئاً] (٣) توهّمه أو شيئاً ينفعه. والله أعلم.

(١) أول الآية « أعمالهم كسراب » سورة النور الآية ٣٩ .

(٢) في الاصل « لان » .

(٣) زيادة ليست في الاصل .

وليس يجوز أن تعود هذه الكنايات كلها على غير شيء في الحقيقة . ومثل هذا رجل رأى شخصاً من بعيد، فشبّهه بإنسان يعرفه فقال هذا فلان، فلما قرب منه تبينته، فهذا مثله وإن كان ذلك أخفى ، فإذا قد ثبت أن الاسم لا يسبق المسمّى ، فقد بطل احتجاجكم بسبق المصدر الفعل - لأنه اسمه ، وأنه واجب من ذلك أن يكون قبله سابقاً له .

الجواب . يقال لمن احتج بهذا وعارض به : وليس أيضاً ما قلتموه مسلماً لكم من أن الاسم لا يسبق المسمّى ولا يتأخر عنه . فقد علمتم أنكم مخالفون في ذلك . وليس غرضنا إثبات حقيقة تقدم الاسم والمسمى ، وإنما نحن في مجاري الخطاب وكلام العرب ، ولا خلاف بيننا أن في كلام العرب وأوضاع النحويين الاسم قبل الفعل حسب ما تقدم اتفاقنا عليه ، فنحن ندع ما فيه الخلاف من ذلك ونرجع إلى المتفق عليه في مجاري الإعراب وأوضاع النحو لأنه غرضنا الذي نتكلم عليه ونجادل عنه . فقد صحّ أن الاسم قبل الفعل ، والمصدر اسم فقد صحّ أنه قبل الفعل وبالله التوفيق .

دليل آخر للبصريين . قالوا : من الدليل أيضاً على أن المصدر قبل الفعل وأن الفعل منه ، أن المصدر في اللغة هو المكان الذي يصدر عنه ، كقولنا هذا مصدر الإبل للمكان الذي تصدر عنه ، فعلى ما توجبه حقيقة اللغة هو الشيء الذي يصدر عنه الفعل . ولو كان هو صدر عن الفعل سُمّي صادراً لا مصدرأ . وهذا بيّن واضح .

دليل آخر للبصريين ، كان شيخنا ابو إسحق الزجاج^(١) رحمه الله، يستدلّ به، قال : لو كان المصدر بعد الفعل ، وكان مأخوذاً من الفعل، لوجب ان يكون لكل مصدر فعل قد اخذ منه، لا محيص عن ذلك ولا مهرب منه . فلما رأينا في كلام العرب مصادر كثيرة لا أفعال لها البتة مثل العبودية والرجولية/ والبُنوّة والامومة

أ / ١١

والأموة^(١) وما اشبه ذلك مما يطول تعداده من المصادر التي لم تؤخذ من الأفعال. ورأينا في كلامها أيضا مصادر جارية على غير الفاظ أفعالها ، نحو الكرامة والعطاء وما اشبه ذلك ، علمنا انه ليست الأفعال أصولاً للمصادر . إذ كانت المصادر توجد بغير أفعال ، وعلمنا ان المصادر هي الاصول فمنها ما أخذ منه فعل ، ومنها ما لم يؤخذ منه فعل . وهذا بيّن واضح .

دليل آخر للبصريين . كان ابو بكر بن السراج^(٢) يستدل به . قال : لو كانت المصادر مأخوذة من الأفعال جارية عليها ، لوجب الاتّ مختلف كما لا تختلف أسماء الفاعلين والمفعولين الجارية على أفعال ، نحو ضارب ومضروب وشاتم ومشتوم ومُكْرَم ومُكْرَم وما اشبه ذلك مما لا ينكسر . ورأينا المصادر مختلفها اكثر مما جاء منها على الفعل ، كقولنا شَرِبَ شَرُّبًا وشَرُّبًا ومَشْرَبًا وشَرابًا وعدل عن الحق عَدُلًا وعَدُوًّا وما اشبه ذلك ، علمنا انها غير جارية على الأفعال وأن الأفعال ليست بأصولها .

دليل آخر للبصريين . قال بعض اهل النظر منهم ، الدليل على ان المصدر اصل الفعل ، انه يوجد لفظه وحروفه في جميع انواع الفعل كيف صرف ، كقولنا خرج يخرج واخرج واستخرج ويخرج . وقتل يقتل وقاتل وتقتل واستقتل ، فلفظ المصدر الذي هو اصله موجود فيه في جميع فنونه فعلمنا انه اصله ومادته . الا ترى ان الفضة أصل لجميع ما يصاغ منها ، فهي موجودة المعنى فيه ، فإن صغت كوزاً او إبريقاً او خاتماً وقُلْبًا^(٣) وخلخالاً وغير ذلك فعناها موجود في جميع ما يصاغ منها ، وليس معاني ما يصاغ منها موجوداً فيها مُفْرَدَةً ، فكذلك معنى المصدر موجود في جميع الأفعال المشتقة منه وليس / معنى فعل واحد منها موجوداً في المصدر

(١) جاء في لسال العرب « أمت المرأة واميت وأموت .. أموة » ١١ ب صارت أمة .

(٢) ترجمنا له في ص ٥٠ .

(٣) القلب : السوار .

نفسه ، الا ترى انه ليس في الضرب معنى فعل ماض ولا مستقبل موجودا .
فهذا احسن ما قيل في هذا وأدقّه وألطفه .

دليل الكوفيين على ان المصدر مأخوذ من الفعل . قالوا : الدليل على ان
المصدر مأخوذ من الفعل ، وان الفعل اصل للمصدر ان المصدر يعتل إذا اعتلّ
الفعل ، ويصح إذا صحّ ، فتقول : قام زيد قياما ، فتعلّ القيام لا اعتلال قام .
وكذلك تقول : وعد يعد عدة فتعلّ عدة لا اعتلال يعد . وتقول عَور الرجل
يعور عَوراً وحوّل حَوَلاً ، وصَيّد البعير صيداً^(١) ، فيصحّ المصدر لصحة
فعله ، فعلنا بذلك ان المصادر بعد الافعال ، تابعة لها ، وان الافعال هي الاصول
التي أخذت منها فلذلك تبعتها في التصحيح والاعتلال^(٢) .

إفساده والجواب عنه . قال لهم البصريون ومن يحتجّ عنهم ويقول بمذهبهم
لو كان اعتلال الفعل يوجب اعتلال مصدره ، لوجب ألاّ يوجد فعل معتل إلا
ومصدره معتل ، ولا يوجد لفعل معتل مصدر صحيح . فلما رأينا الافعال تعتل وتصح
مصادرهما كقولنا وعد وعداً ، ووزن وزناً ، وقام قومة ، وكال يكيل كيلاً ،
ومال يميل ميلاً ، وما أشبه ذلك مما يطول تعداده من الافعال المعتلة التي صحّت
مصادرهما ، علمنا انه ليس اعتلال الافعال علة موجبة لا اعتلال المصادر ، وإنما
يعتل من المصادر ما لزمه من الثقل ما لزم الفعل ، وما لم يلزمه ذلك صح معناه
فلم يجب من ذلك أن تكون المصادر مشتقة من الأفعال كما زعمت لفارقتها لها في
الاعتلال الذي جعلتموه دليلكم .

دليل آخر للكوفيين : قال أبو بكر بن الأنباري^(٣) يذكر أنه هو استخراج

(١) جاء في اللسان « الصّاد والصيّد والصيّد داء يصيب الابل في

رؤوسها فيسيل من أنوفها الزيد وتسمو عند ذلك برؤوسها » .

(٢) رد السيرافي هذا الدليل بعلتين ذكرهما في الشرح ١: ٩٠ .

(٣) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد الأنباري من أعلم نحاة الكوفة

أخذ عن ثعلب ومات سنة ٣٢٧ هـ ترجمته في طبقات الزبيدي : ١٧١ ونزهة

الالبا : ٣٣٠ - ومعجم الادباء ٣٠٦: ١٨ وانباه الرواة ٣: ٢٠١ .

ويحتج به ويعتمد عليه ويردد ذكره في كتبه ، قال : الدليل على ان المصادر بعد / الأفعال ، وأنها مأخوذة منها ان المصادر تكون توكيداً^(١) للأفعال ١٢ / أ كقولك ضرب زيد ضرباً ، وخرج خروجاً ، وقعد قعوداً وما أشبه ذلك ، فلا خلاف في ان المصادر ها هنا توكيد للأفعال . والتوكيد تابع للمؤكد ثانٍ بعده ، والمؤكد سابق له ، فسدل ذلك على ان المصدر تابع للفاعل ، مأخوذ منه ، وان الفعل هو الأصل الذي أخذ منه .

القول في إفساد هذا الحجاج والرد عليه . قلت أنا للمحتج من الكوفيين بهذا الاحتجاج: ليس الأمر كما ذهب إليه، وذلك ان المصدر إنما سمي هنا توكيداً للفعل من قولنا ضرب زيد ضرباً ؛ لأنه لا فائدة فيه أكثر مما في الفعل ؛ وكذلك قام زيد قياماً وما أشبه ذلك ، فليس فيه فائدة أكثر مما في قام ، وإنما قال النحويون تقدير هذا أن يكون اراد ان يقول قام قام ، وضرب ضرب ، فيكون للفعل تشديداً وتوكيداً فاستقبحوا ذلك، فبدلوا احد اللفظين مصدراً ليكون احسن . وليس هو بتوكيد يتبع المؤكد على الحقيقة كتواكيد الأسماء التي تتبع المؤكد نحو قولك نفسه وعينه واجمع واكتع . والدليل على صحة ما قلناه لإجماع الكوفيين والبصريين على إجازتهم قياماً قت ، وضرباً ضربت زيدا، فيقدمون المصدر على الفعل، ولو كان توكيداً له على الحقيقة، تابعا كتواكيد الأسماء ، لما جاز تقديمه عليه كما لا يجيزون نفسه ضربت زيدا . وهذا بيّن واضح . ومع ذلك فليس في كلام العرب توكيد مشتق من لفظ المؤكد ، مأخوذ منه ، فيكون المصدر ملحقاً به في ان يكون مشتقاً من الفعل توكيداً له . وهذا واضح^(٢) .

مسألة جرت بيني وبين ابي بكر بن الأنباري في المصدر . قلت له مرة :

(١) في الاصل « توكيد » .

(٢) بين السيرافي أن كون الفعل عاملاً في المصدر لا يعني تقدمه عليه

بدليلين . شرح الكتاب ١٠: ١ و ١١ .

١٢/ب ما المصدر في كلام العرب من طريق اللغة؟ فقال: المصدر المكان الذي يصدر عنه، كقولنا مصدر الإبل/ وما أشبهه. ثم نقول مصدر الأمر والرأي تشبيهاً والمصدر أيضاً هو الذي يسميه النحويون مصدراً، كقولنا ضرب زيد ضرباً ومضرباً وقام قياماً ومقاماً وما أشبهه، والمَفْعَل (١) يكون مكاناً ومصدراً. قلت له: فإذا كان كذلك فلمَ زعم القراء (٢) ان المصدر مصدر الفعل؟ وبأي قياس جعله بمعنى الفاعل، وقد صحَّ عندك انه يكون مفعولاً به بمعنى مصدر او مكان كما ذكرت؟ وهل يُعرف في كلام العرب مَفْعَلٌ بمعنى الفاعل، فيكون المصدر ملحقاً به؟ فقال: ليس هو كذلك عند القراء، إنما هو عنده بمعنى مفعول، كأنه أصدر عن الفعل، لا انه هو صدر عنه، فهو بمعنى مفعول، كما قيل هذا مركب فاره، ومعناه مركوب فاره، ومشرب عذب، ومعناه مشروب عذب. قال الشاعر: وقد عادَ عذبُ الماءِ بَحْرًا فزادني على ظمئي أن أبحر المشربُ العذبُ (٣) اراد المشروب العذب. يقال ابحر الماء واستبحر إذا صار ملحاً غليظاً. قلت له: ليس يجب ان يجعل دليله على صحة دعواه ما يتنازع فيه، ولا يسلم له، ولا يجده في كلام العرب.

قال: فأين وجه المنازعة هاهنا؟ قلت له: اجتماع النحويين كلهم على ان المَفْعَل (يكون بمعنى المصدر والمكان. فالماً كَسَل) (٤) يكون بمعنى الأكل والمكان والمشرب بمعنى الشرب والمكان، ومنه قيل رجل مقنن اي مقنوع به، وليس في كلام العرب مَفْعَلٌ للمفعول به ليس فيه مَكْرَمٌ بمعنى مُكْرَمٌ، ولا مَعْطَى

(١) في الاصل « والمنفعل » وصوابها ما ذكرت .

(٢) ترجمنا له في ٥٦ .

(٣) جاء في مادة (بحر) من لسان العرب: البحر الماء الكثير، ملحاً كان أو عذبا سمي بذلك لعقمه واتساعه . وقد غلب على الملح حتى قل في العذب . وماء بحر ملح قل أو كثر . قال نصيب .

وقد عاد ماء الارض بحرا فزادني على مرضي أن أبحر المشرب العذب

(٤) زيادة ليست في الاصل .

بمعنى مُعطى ، ولا مَفْعَل بمعنى مُفْعَل ، وإنما يجيء المَفْعَل بمعنى المفعول ، فهل تعرف انت في كلامهم ، أو تذكر له شاهداً من شعر أو غيره أو رواية أو قياساً يُعمل عليه ؟ قال : إن أصحابنا يقولون المصدر جاء بمعنى مفعول شاذاً ولا يقاس عليه إنما هو اختصاص غير مقيس عليه ، والشواذ في كلامهم غير مدفوعة . قلت له : أما إذ صاروا إلى باب السهول والدعاوي بغير برهان ، فالكلام / بيننا ١٣ / أ ساقط . فأما من الشهوات والدعاوي بغير برهان ، فأما الشواذ فإنما تقبل ما نقلته (١) الرواة وسمع منها في شعر أو شاهد كلام لا ما يدعيه المدّعون قياساً . قال ؛ فقد قال بعض أصحابنا إن المصدر بمعنى الانصدار ، كأنه ذو الانصدار منه ، كما قيل المسلم المؤمن ، ومعناه السلامة . قلت له : فقد رجع القول بنا إلى أنه في معنى فاعل وقد مضى القول فيه .

فذكرت ما جرى لابي بكر بن الخياط (٢) فقال : هذه أشياء يولّدها من عنده على مذاهب القوم ، ليست بحكيّة عن الفراء ، ولا موجودة في كتبه ، ولكنها مما يرى أنها تؤيد المذهب وتنصره . ثم رأيت بعد ذلك بمدة بعيدة قد ذكر هذه الاحتجاجات أو قريباً منها في بعض كتبه ولم يرجع عنها .

(١) في الاصل « تقبله » .

(٢) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن منصور بن الخياط . كان عالماً في النحو على المذهبين البصري والكوفي وأحد أساتذة الزجاجي . مات سنة ٣٢٠ هـ . ترجمته في طبقات الزبيدي : ٧٥ وفي نزهة الالباء : ٣١٢ ومعجم الادباء ١٧ : ١٤١ وبغية الوعاة : ١٩ .

باب القول في علل النحو

أقول أولاً إن علل النحو ليست موجبة ، وإنما هي مستنبطة اوضاعاً ومقاييس ، وليست كالعلل الموجبة للأشياء المعلولة بها ، ليس هذا من تلك الطريق .
وعلل النحو بعد هذا على ثلاثة أضرب : علل تعليمية ، وعلل قياسية ، وعلل جدلية نظرية .

فأما التعليمية فهي التي يتوصل بها إلى تعلم كلام العرب ، لأننا لم نسمع نحن ولا غيرنا كل كلامها منها لفظاً ، وإنما سمعنا بعضاً فقسنا عليه نظيره ، مثال ذلك اننا لما سمعنا قام زيد فهو قائم ، وركب فهو راكب ، عرفنا (١) اسم الفاعل فقلنا ذهب فهو ذاهب ، وأكل فهو آكل وما اشبه ذلك ، وهذا كثير جداً وفي الإيماء اليه كفاية لمن نظر في هذا العلم . فمن هذا النوع من العلل قولنا إن زيداً قائم ، إن قيل : بم نصبم زيداً ؟ قلنا : بإن : لأنها تنصب الاسم وترفع الخبر لأننا كذلك علمناه ونعلمه . وكذلك قام زيد . إن قيل : لم رفعتم زيداً ؟ قلنا : لأنه فاعل اشتغل فعله به / فرفعه . فهذا وما اشبهه من نوع التعليم ، وبه ضبط ١٣/ب
كلام العرب .

فأما العلة القياسية فإن يقال لمن قال نصبت زيداً بإن ، في قوله إن زيداً قائم : ولمّ وجب انّ تنصب « إن » الاسم ؟ فالجواب في ذلك ان يقول : لانها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدّي إلى مفعول ، فحُمِلت عليه فأعملت إعماله لما ضارعته ، فالمنصوب بها مشبّه بالمفعول لفظاً ، والمرفوع بها مشبّه بالفاعل لفظاً ، فهني تشبه من الافعال ما قدّم مفعوله على فاعله ، نحو ضرب اخاك محمد وما اشبه ذلك (٢) .

(١) في الاصل « فعرّفنا » .

(٢) هذه العلة جديدة عند الزجاجي لان النحاة جروا على حمل « ان »

على « كان » .

واما العلة الجدلية النظرية فكل ما يُعتل به في باب « إن » بعد هذا . مثل ان يقال : فمن اي جهة شابهت هذه الحروف الأفعال ؟ وبأي الأفعال شبهتموها ؟ أبلماضية ، أم المستقبلية ، أم الحادثة في الحال ، أم المتراحية ، أم المنقضية بلا مهلة ؟ (وحين) ^(١) شبهتموها بالأفعال لاي شيء عدلتم بها إلى ما قدّم مفعوله على فاعله نحو ضرب زيداً عمرو ، وهلاً شبهتموها بما قدّم فاعله على مفعوله لانه هو الأصل وذاك فرع ثان ؟ فأَيّ علة دعتكم ^(٢) إلى إلحاقها بالفروع دون الأصول ، وأي قياس اطرء لكم في ذلك ؟ وحين شبهتموها بما قسدم مفعوله على فاعله ، هلاً اجزتم تقديم فاعليها على مفعوليها كما اجزتم ذلك في المشبه به في قولكم ضرب اخاك محمد وضرب محمد اخاك ؟ وهلا حين امتنعت من ذلك لعلّة لزمتموه ولم ترجعوا عنه فتجزوه في بعض المواضع في قولكم إن خلفك زيداً وإن امامك بكرأ وما اشبه ذلك ؟ وهلا حين مثلتم عملها بعمل الفعل المتعدّي إلى مفعول واحد نحو ضرب زيداً عمرو ، امتنعتم من اجازة وقوع الجمل في موضع فاعلها في قولكم ان زيداً ابوه قائم ، وإن زيداً ماله كثير ، والفاعل لا يكون جملة ؟ ولم اجزتم وقوع الفعل موقع فاعلها في قولكم إن زيداً يركب ، وإن عبدالله ركب / أرايتم فعلاً وقع موقع الفاعل بدلاً منه نائباً عنه ؟ ما أرى كلامكم إلا ينقض بعضه بعضاً .

١٤ / أ

وكل شيء اعتلّ به المسؤول جواباً عن هذه المسائل ، فهو داخل في الجدل والنظر . وفي باب « إن » سوّلات كثيرة غير هذا سنذكرها مع الجواب عن هذه المسائل في باب ذكر علل « إن » إن شاء الله .

وذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن احمد رحمه الله ، سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو ، فقيل له : عن ^(٣) العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال :

(١) زيادة ليست في الاصل وبها يستقيم الكلام .

(٢) في الاصل : دعتك ، لك .

(٣) هكذا في الاصل ولعلها « أعن » لان المعروف أن سيبويه والجمهور لا يجيزون حذف همزة الاستفهام في سياق المعادلة الا للضرورة وشذ منهم الاخفش فأجاز حذفها اختياراً .

« إن العرب نطقت على سجيته وطباعها . وعرفت مواقع كلامها ، وقام في عقولها علله ، وان لم يُنقل ذلك عنها ، واعتلت انا بما عندي انه علة لما علته منه . فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمس . وان تكن هناك علة له فثلي (١) في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء ؛ عجيبة النظم والأقسام ؛ وقد صحّت عنده حكمة بانيتها ، بالخبر الصادق او بالبراهين الواضحة والحجج الالائحة (٢) ، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال : إنما فعل هذا هكذا لعله كذا وكذا ، ولسبب كذا وكذا . سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك ، فجائز ان يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار ، وجائز ان يكون فعله لغير تلك (٣) العلة ، إلا أن ذلك (٤) مما ذكره هذا الرجل محتمل ان يكون علة لذلك . فإن سنح لغيري علة لما علته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليات بها . وهذا كلام مستقيم ، وإنصاف من الخليل رحمة الله عليه .

وعلى هذه الأوجه الثلاثة مدار علل النحو ، فاعرف ذلك إن شاء الله .

(١) في الاصل « ومثلي »

(٢) الظاهرة .

(٣) في الاصل « ذلك » .

(٤) في الاصل « تلك » .

باب القول في الاعراب والكلام . أيهما أسبق^(١)

فإن قال : فأخبروني عن الإعراب والكلام أيهما أسبق ؟ قيل له : إن الأشياء مراتب في التقديم والتأخير ، إما بالتفاضل أو بالاستحقاق / أو بالطبع أو على^{١٤/ب} حسب ما يوجهه المعقول . فنقول إن الكلام سيبله أن يكون سابقاً للإعراب ، لأننا قد نرى الكلام في حال غير معرّب ، ولا يخلّ معناه . ونرى الإعراب يدخل عليه ويخرج ، ومعناه في ذاته غير معدوم . مثال ذلك أن الاسم نحو زيد ومحمد وجعفر وما أشبه ذلك ، معرباً كان أو غير معرب ، لا يزول عنه معنى الاسمية . وكذلك الفعل المضارع نحو يقوم ويذهب ويركب ، معرباً كان أو غير معرب ، لا يسقط منه معنى الفعلية . وإنما يدخل الإعراب لمعانٍ تعتور هذه الأشياء . ومع هذا فقد رأينا الشيء من الكلام الذي ليس بمعرب قريباً من معربه كثرة ، وذلك ان الأفعال الماضية مبنية كلها على الفتح . وفعل الأمر للمواجه إذا كان بغير اللام مبني على الوقف ، نحو يا زيد اذهب واركب وما أشبه ذلك . وحروف المعاني مبنية كلها . وكثير من الأسماء بعد هذا مبني ولم تسقط دلالتها على الاسمية (ولا^(٢)) معانيها عما وضعت له ، فعلمنا بذلك ان الإعراب عرض داخل في الكلام لمعنى يوجد ويدل عليه ، والكلام إذاً سابقه في المرتبة ، والإعراب تابع من توابعه .

فإن قال : فأخبروني عن الكلام المنطوق به الذي نعرفه الآن بيننا ، أفتقولون إن العرب كانت نطقت به زماناً غير معرّب ثم ادخلت عليه الإعراب ، أم هكذا نطقت به في اول تبلبل السننها؟ قيل له : هكذا نطقت به في اول وهلة ، ولم تنطق

(١) نقل السيوطي هذا الباب في الاشياء والنظائر ١: ٧٦ .

(٢) زيادة للسياق .

به زماناً غيرَ معرّب ثم اعربته . فإن قال : فن ابن حكمتم على سبق بعضه بعضاً وجعلتم الإعراب الذي لا تُعقل أكثر المعاني إلاّ به ثانياً ، وقد زعمتم انها تكلمت هكذا جملة ؟ قيل له : قد عرفناك ان الأشياء تستحق المرتبة والتقديم والتأخير على ضروب ، فنحكم / لكل واحد منها بما يستحقه ، وإن كانت لم توجد إلا مجتمعة . الا ترى انا نقول إن السواد عرّض في الأسود ، والجسم اقدم من العرّض بالطبع والاستحقاق ، وان العرّض قد يجوز ان يُتوهم (منفصلاً) ^(١) عن الجسم والجسم باق ، فنقول إن الجسم الأسود قبل السواد ، ونحن لم نر الجسم الأسود خالياً من السواد الذي هو فيه ، ولا رأينا السواد قط عارياً من الجسم ، بل لا تجوز رؤيته ، لأن المرئيات إنما هي الأجسام الملوّنة ، ولا تدرك الألوان خالية من الأجسام ولا الأجسام غير ملونة . ولم نرد بالأسود هاهنا جسماً سُودٌ بمحضرتنا ، بل ما شوهد كذلك من الأجسام . وكذلك القول في الأبيض والأحمر وما أشبه ذلك ^(٢) .

ومنها أنا نعلم أن الذّكر في المرتبة مقدم على الأنثى ، ونحن لم نشاهد العالم خالياً من احدهما ثم حدث بعده الآخر إلا ما وقفنا عليه بالخبر الصادق من سبق خلق الذكر الأنثى في خلق آدم وحواء عليهما السلام ، واما في غيرها فكذلك إن علم بغيرٍ صادق الإخبار بقدم كل واحد منهما صاحبه ، فكذلك قوله في الكلام والإعراب ، يقول إن الإعراب في الاستحقاق داخل على الكلام لما توجبه مرتبة كل واحد منهما في المعقول ، وإن كانا لم يوجدوا مفترقين .

ونظير ذلك انا نقول : إن الأسماء قبل الأفعال ، لأن الأفعال أحداث للأسماء ، ولم توجد الأسماء زماناً ينطق بها ثم نطق بالأفعال بعدها ، بل نطق بهما معاً ، ولكل حقه ومرتبته . وقد اجاز بعض الناس ان تكون العرب نطقت اولاً

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) هذه الحجة توضح الفكرة ولكنها لا تجزم بصحتها .

بالكلام غير معرب ، ثم رأيت اشتباه المعاني فأعربته ، ثم نقل معرباً فأعربته (١)
فنتكلم به (٢) .

باب القول في الاعراب ، لم يدخل في الكلام (٣)

فإن قال : فقد ذكرت أن الإعراب داخل في الكلام ، فما الذي دعا إليه
واحتج إليه من أجله ؟

الجواب أن يقال : إن الأسماء لما / كانت تعتورها المعاني ، فتكون فاعلة ١٥ / ب
ومفعولة، ومضافة، ومضافاً إليها، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني
بل كانت مشتركة، فجعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني، (٤) فقالوا
ضرب زيد عمرا، فدلوا برفع زيد على أن الفعل له، وبنصب عمرو على أن الفعل
واقع به . وقالوا ضرب زيد، فدلوا بتغيير أول الفعل ورفع زيد على أن الفعل ما
لم يسم فاعله وان المفعول قد ناب منابه . وقالوا هذا غلام زيد، فدلوا بجنس زيد
على إضافة الغلام إليه ، وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها

(١) هكذا في الأصل ولعل « فأعربته » الثانية زائدة .

(٢) يتجه البحث العلمي اليوم الى أن الأسماء متقدمة لا استحقاقا ومرتبة
بل زمنيا أيضا على الأفعال وصياغتها بدليل استعمال الأفعال لها قبل غيرها .

(٣) نقل السيوطي هذا الباب في « الأشباه والنظائر » ١ : ٧٨ .

(٤) من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب الاعراب الذي هو الفارق
بين المعاني المتكافئة في اللفظ وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ولولاه
ما ميز فاعل من مفعول ولا مضاف من منوع ولا تعجب من استفهام ولا صدر
من مصدر ولا نعت من توكيد « الصاحبي ٤٢ : وقال « فأما الاعراب فيه
تميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين وذلك أن قائلًا لو قال « ما أحسن
زيد » غير معرب أو « ضرب عمر زيد » غير معرب . لم يوقف على مراده فإذا
قال ما أحسن زيداً أو ما أحسن زيداً أو ما أحسن زيد أبان بالاعراب عن المعنى
الذي أراده ، وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها فهم يفرقون بالحركات وغيرها
بين المعاني « الصاحبي ١٦١ : .

ليتسعوا في كلامهم ، ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه ، وتكون الحركات دالة على المعاني .

هذا قول جميع النحويين إلا قطرباً^(١) فإنه عاب عليهم هذا الاعتلال ، وقال لم يُعرب الكلام للدلالة على المعاني ، والفرق بين بعضها وبعض ، لأننا نجد في كلامهم أسماء متفقة في الإعراب مختلفة المعاني ، وأسماء مختلفة الإعراب متفقة المعاني ، فما اتفق إعرابه واختلف معناه قولك إن زيداً أخوك . ولعل زيدا ، أخوك . وكان زيداً أخوك . اتفق إعرابه واختلف معناه . ومما اختلف إعرابه واتفق معناه قولك مازيد قائماً ، ومازيد قائم ، اختلف إعرابه واتفق معناه . ومثله : مارأيت مازيد قائماً ، ومازيد قائم ، ولا مالَ عندك ؛ ولا مالٌ عندك ، ومافي الدار أحداً إلا زيد ، ومافي الدار أحد إلا زيداً . ومثله ؛ أن القوم كلَّهم ذاهبون وأن القوم كلَّهم ذاهبون ، ومثله (إن الأمرَ كلَّه لله)^(٢) و (إن الأمرَ كلَّه لله) قرىء بالوجهين جميعاً^(٣) . ومثله ليس زيد بجبان ولا بجليل ولا بجيلاً . ومثل هذا كثير جداً مما اتفق إعرابه واختلف معناه ، ومما اختلف إعرابه واتفق معناه . قال : فلو كان الإعراب إنما دخل الكلام للفرق بين المعاني ، لوجب أن يكون لكل معنى إعراب يدل عليه لا يزول إلا بزواله . قال قطرب : وإنما أعربت / العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل ، وكانوا يبطنون عند الإدراج فلما وصلوا وأمكنهم التحريك ، جعلوا التحريك معاقباً للإسكان ، ليعتدل

أ / ١٦

(١) هو محمد بن المستنير تلميذ سيبويه مات سنة ٢٠٦ . ترجمته في طبقات الزبيدي : ١٠٦ وبغية الوعاة ١٠٤ وانباه الرواة ٣: ٣١٩ .

(٢) الآية الكريمة (يقولون هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ

الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) آل عمران الآية ١٥٤ .

(٣) قرأ أبو عمرو ويعقوب « كلة » بالرفع على الابتداء . والباقون

بالنصب على التوكيد أنظر التفصيل في تفسير القرطبي ٤: ٢٤٢ .

الكلام. ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن ، ومتحركين وساكن ، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة ولا في حشو بيت ، ولا بين أربعة أحرف متحركة ، لأنهم في اجتماع الساكنين يبطنون ، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون وتذهب المهلة في كلامهم ، فجعلوا الحركة عقب الإسكان .

قيل له : فهلاّ لزموا حركة واحدة لأنها مُجزئة لهم إذ كان الغرض إنما هو حركة تعتق (١) سكونا ؟ فقال : لو فعلوا ذلك لضيّقوا على أنفسهم فأرادوا الاتساع في الحركات وألاّ يحظروا على المتكلم الكلام إلا بحركة واحدة .

هذا مذهب قطرب واحتجاجه . وقال المخالفون له ردّاً عليه : لو كان كما زعم لجاز خفض الفاعل مرة ، ورفع آخرى ونصبه ، وجاز نصب المضاف إليه ، لأن القصد في هذا إنما هو الحركة تعاقب سكونا يعتدل به الكلام . وأيّ حركة أتى بها المتكلم أجزأته فهو مُخَيَّر في ذلك . وفي هذا فساد للكلام ، وخروج عن أوضاع العرب وحكمة نظام كلامهم . واحتجوا لما ذكره قطرب من اتفاق الإعراب واختلاف المعاني ، واختلاف الإعراب واتفاق المعاني في الأسماء التي تقدم ذكرها بأن قالوا إنما كان أصل دخول الإعراب في الأسماء التي تذكر بعد الأفعال ، لأنه يذكر بعدها اسمان أحدهما فاعل والآخر مفعول ، فمعناها (٢) مختلف فوجب الفرق بينهما ، ثم جعل سائر الكلام على ذلك . وأما الحروف التي ذكرها فحمولة على الأفعال ، ولكل شيء مما ذكره علة تمر بك في بابه إن شاء الله تعالى .

(١) جاء في اللسان « التعاقب والاعتقَاب والتداول وهما يتعاقبان ويعتقبان أي إذا جاء هذا ذهب هذا » .

(٢) في الاصل « فمعناها » .

باب القول في الاعراب ، أحركة هو أم حرف (١)

ب/١٦ / قد قلنا إن الإعراب دالّ على المعاني ، وإنه حركة داخلية على الكلام بعد كمال بنائه . فهو عندنا حركة نحو الضمة في قولك هذا جعفر ، والفتحة من قولك رأيت جعفرأ ، والكسرة من قولك مررت بجعفر . هذا أصله ومن المجمع عليه أن الإعراب يدخل على آخر حرف في الاسم المتمكن والفعل المضارع ، وذلك الحرف هو حرف الإعراب . فلو كان الإعراب حرفاً ما دخل على حرف . هذا مذهب البصريين . وعند الكوفيين أن الإعراب يكون حركة وحرفاً ، فإذا كان حرفاً قام بنفسه ، وإذا كان حركة لم يوجد إلا في حرف . ثم قد يكون الإعراب سكوناً وحذفاً ، وكذلك الجزم في الأفعال المضارعة ، وحرفاً .

وهذا مما ذكرت لك أن الشيء قد يكون له أصل لم يسمع . وكل هذا يذكر في موضعه إن شاء الله .

فإن قال قائل : فأين يكون الإعراب سكوناً وحذفاً وحرفاً ؟ قيل له : يكون سكوناً في الأفعال المضارعة السالبة اللامات ، نحو لم يضرب ولم يذهب . وحذفاً في هذه الأفعال إذا كانت معتلة اللامات ، نحو لم يقض ولم يغز ولم يخش ، ولكل شيء من هذا علة تذكر في موضعها (٢) إن شاء الله .

فإن قال قائل : فهل يكون الإعراب حرفاً عند سيبويه وأصحابه في شيء من الكلام ؟ قلنا له : هذا الذي ذكرناه هو الأصل وعليه أكثر مدار كلام العرب . وقد ذكرنا أن الشيء يكون له أصل يلزمه ، ونحو يطرد فيه ، ثم يعترض لبعضه علة تخرجه عن جمهور بابيه ، فلا يكون ذلك ناقضاً للباب كما مثلنا ذلك فيما تقدم (٣) . وذلك

(١) نقل السيوطي هذا الباب في الأشباه والنظائر ١ : ٨٠ .

(٢) في الاصل « يذكر في موضعه » .

(٣) يشير الى ما سبق أن ذكره في ص ٥١ .

موجود في سائر العلوم ، حتى في علوم الديانات كما يقال بالاطلاق الصلاة واجبة على البالغين من الرجال والنساء ، ثم نجد منهم من تلحقه علة تسقط عنه فرضها . وكما يقال من سرق من حيزز^١ قطع ، وقد نجد القطع ساقطاً عن بعضهم ، ولهذا نظائر كثيرة فكذلك حكم الإعراب وحقيقته ما ذكرناه . ثم إنه عرض في بعض الكلام ضرورة دعت إلى جعل الإعراب حروفاً وذلك في تثنية الأفعال المضارعة ، وجمعها وفعل المؤنث المخاطب في المستقبل / وذلك في خمسة أمثلة من الفعل وهي ١٧/أ

يفعلان وتفعلان ويفعلون وتفعلون وتفعلين يا هذه . علامة الرفع في هذه الأفعال الخمسة ثبات النون ، وحذفها علامة الجزم والنصب^(١) .

فإن قيل : ما الذي أوجب تصيير الإعراب في هذه الأفعال حرفاً وهو النون؟ قيل له ما قال سيويوه وهو أنه قال : الإعراب يدخل على آخر حرف في الكلمة ، وذلك الحرف يسمى حرف الإعراب ، وآخر حرف في هذه الأفعال النون . فلو جعلت النون حرف الإعراب لوجب ضمها في حال الرفع ، وفتحها في حال النصب ، وكان يلزم من ذلك أن تسكن في حال الجزم . ولو أسكنت وجب سقوط الألف التي قبلها والواو والياء لالتقاء الساكنين وكان يذهب ضمير الاثنين والجمع والمؤنث في حال تأخير الأفعال بعد الأسماء ، ويسقط علم ذلك في تقديم الأفعال على الأسماء في لغة من يشئ ويجمع الفعل مقدماً ، فكان يصير الفعل كأنه للواحد ويبطل المعنى ، فلما امتنع ذلك جعلت النون نفسها علم الرفع ، فلما صارت علم الرفع وجب حذفها في الجزم ، لأن الجازم يحذف ما يثبت في الرفع ، فإن كان في حال الرفع حرف ساكن حذفه الجازم ، نحو لم يقض ولم يغز ولم ينحس ، فجعلت النون محذوفة في الجزم لسكونها كما حذفت الواو والياء والألف لسكونها . وجعل النصب مضموماً إلى الجزم ، فحذفت النون فيه أيضاً فقليل لم يفعلوا ولم يفعلوا ولن يفعلوا ، كما ضمَّ النصب في تثنية الأسماء وجمعها إلى الخفض ، لأن الجزم في الأفعال نظير الخفض في الأسماء .

(١) أنظر الحاشية ١ من ص ٧٤ .

فإن قال قائل : فإن النون في يفعلان وتفعلان وسائر هذه الأفعال متحركة وقد حكمت عليها بالسكون ، وزعمت أن الجازم إذا دخل على حرف ساكن حذفه ، فلم حذفت النون وهي متحركة ؟ ولم زعمت أنها ساكنة ؟

فالجواب في ذلك أن يقال له : إن النون في هذه الأفعال مضارعة للسكون ١٧/ب كما ذكرنا لأنها ليست بحرف /إعراب ، فلما سكنت وقبلها ساكن تحركت لالتقاء الساكنين . وليست الحركة فيها بلازمة استحقاقاً فحكمها حكم الساكن ، فلذلك حذفها الجازم .

فإن قال قائل : فهلا جعلت الحروف التي قبل هذه النون في الأفعال حروف الإعراب ؟

فالجواب في ذلك أن الألف التي قبل هذه النون في يفعلان وتفعلان ، والواو في يفعلون ، والياء في تفعلين ، ليست من بناء الفعل ولا تمامه ، وإنما هي ضمير الفاعلين علامة كما ذكرت لك ، فلم يجوز أن تكون حروف إعراب الفعل لذلك (١) .

(١) قال سيبويه « واعلم أن التثنية إذا لحقت الأفعال المضارعة علامة للفاعلين لحقها ألف ونون ، ولم تكن الألف حرف الإعراب لانك لم ترد أن تثني (يفعل) هذا البناء فتضم إليه يفعلا آخر ، ولكنك إنما ألحقته هذا علامة للفاعلين ، ولم تكن منوثة ولا تلزمها الحركة لانه يدركها الجزم والسكون فيكون الأول حرف الإعراب والآخر كالتنوين .

فلما كان حال يفعل في الواحد غير حال الاسم ، وفي التثنية لم يكن بمنزلة فجعلوا إعرابه في الرفع ثبات النون لتكون له في التثنية علامة الرفع كما كان في الواحد إذ منع حرف الإعراب . وجعلوا النون مكسورة كحالها في الاسم ولم يجعلوها حرف إعراب إذ كانت متحركة لا تثبت في الجزم . ولم يكونوا ليحذفوا الألف لأنها علامة الاضمار والتثنية في قول من قال أكلوني البراغيث ، وبمنزلة التاء في قلت وقالت ، فأثبتوها في الرفع وحذفوها في الجزم كما حذفوا الحركة في الواحد .

ووافق النصب الجزم في الحذف ، كما وافق النصب الجر في الأسماء ، لان الجزم في الأفعال نظير الجر في الأسماء ، وليس للأسماء في الجزم نصيب ، كما أنه ليس للفعل في الجر نصيب وذلك قولك هما يفعلان ولم يفعلا ولن يفعلا .

فإن قال قائل : فلم جاز أن يجيء إعراب الفعل المستقبل بعد الفاعل في قولك الزيدان يقومان ، والزيدون يقومون وما أشبه ذلك ؟ فقد (١) جاءت علامة رفع الفعل بعد الفاعل وهي (٢) ثبات النون ، وكذلك النصب والجرم ، لأنها بحذف النون وهي (٣) بعد الفاعل ، أفيجوز (٤) أن يكون إعراب شيء موجوداً في غيره وكون ذلك الشيء معرباً ؟ قيل له : إن الفعل لما كان لا يخلو من الفاعل ولا يستغنى عنه ضرورة ، ثم اتصل به مضمرة صارت كبعض حروفه . وصارت الجملة كلمة واحدة . فجاز لذلك وقوع الإعراب بعد ضمير الفاعل لما صارت الكلمة كلمة واحدة . والدليل على ذلك إسكان لام الفعل في قولك : فعلت ، اسكنت اللام لثلاثا تتوالى في كلمة واحدة أربع متحركات ، ولهذا موضع يذكر فيه إن شاء الله تعالى .

وكذلك إذا لحقت الأفعال علامة للجمع لحقتها زائدتان إلا أن الأولى واو مضموم ما قبلها لثلاثا يكون الجمع كالتثنية ، ونونها مفتوحة بمنزلتها في الأسماء كما فعلت ذلك في التثنية لانهما وقعتا في التثنية والجمع ههنا كما أنهما في الأسماء كذلك وهو قولك : هم يفعلون ولم يفعلوا ولن يفعلوا .

وكذلك إذا ألحقت التانيث في المخاطبة إلا أن الأولى ياء وتفتح النون لان الزيادة التي قبلها بمنزلة الزيادة التي في الجمع وهي تكون في الأسماء في الجر والنصب وذلك قولك أنت تفعلين ولم تفعلين ولن تفعلين « الكتاب ١ : ٥٠ .

وانظر ذلك أيضا في أسرار العربية : ١٢٧ و ١٢٨ .

- (١) في الأصل « قيل جاءت ٠٠ » .
- (٢) في الأصل « وهو » .
- (٣) في الأصل « وهو » .
- (٤) في الأصل « يجوز » .

باب القول في الاعراب ، لم وقع في آخر الاسم دون أوله ووسطه^(١)
قال بعض النحويين : الإعراب يدخل في الاسم لمعنى ، فوجب أن يلفظ به
ثم يؤتى بالاعراب في آخر .

وقال أبو بكر بن الخياط^(٢) : ليس هذا القول بمُرَضٍ ، لأننا قد رأينا الأسماء
تدخلها حروف المعاني أولاً ووسطاً ، فما دخلها أولاً قولك : الرجل والغلام ،
وما دخلها وسطاً ياء التصغير في قولك : فُرَيْخٌ وفُلَيْسٌ . ولو كان الأمر على
ما ذهب إليه قائل هذا القول لوجب ألا يدخل على الاسم حرف معنى إلا بعد
كمال بنائه . قال : والقول عندي / هو الذي عليه جملة النحويين أن الاسم يبنى
على أبنية مختلفة ، منها فَعَلٌ وفِعْلٌ وفَعَلٌ وفَعَلٌ وفعل وما أشبه ذلك من
الأبنية ، فلم يجعل الاعراب وسطاً ، لم يدر السامع أحرقة إعراب هي أم حركة
بناء ، فجعل الاعراب في آخر الاسم لأن الوقف يدرکه فيسكن فيعلم أنه إعراب ،
وإذا كان وسطاً لم يمكن ذلك فيه .

١٨ / أ

وقال أبو إسحق الزجاج^(٣) : كان أبو العباس المبرد^(٤) يقول : لم يُجعل
الاعراب أولاً لأن الأول تلزمه الحركة ضرورة للابتداء . لأنه لا يتبدأ إلا بمحرك ،
ولا يوقف إلا على ساكن ، فلما كانت الحركة تلزمه لم تدخل عليه حركة إعراب .
لأن حركتين لا تجتمعان في حرف واحد ، فلما فات وقوعه أولاً لم يمكن أن يجعل
وسطاً ، لأن أوساط الأسماء مختلفة ، لأنها تكون ثلاثية ورباعية وخماسية وسباعية
فأوساطها مختلفة ، فلما فات ذلك جعل آخرأ بعد كمال الاسم ببنائه وحركاته .

وقال آخرون : الاعراب إنما دخل الكلام دليلاً على المعاني فوجب أن يكون
تابعاً للأسماء ، لأنه قد قام الدليل على أنه ثانٍ بعدها . وهذا القول قريب من
الأول . وكل هذه الأقوال يقنع في معناه .

(١) نقل السيوطي هذا الباب في الاشباه والنظائر ١ : ٨٣ .

(٢) ترجمنا له في ص ٦٣ . (٣) ترجمنا له في ص ٤٠ .

(٤) ترجمنا له في ص ٤٠ .

باب القول في المستحق للإعراب من هذه الأقسام الثلاثة

التي هي الأسماء والأفعال والحروف

قال الخليل وسيبويه وجميع البصريين: المستحق للإعراب من الكلام الأسماء، والمستحق للبناء الأفعال والحروف . هذا هو الأصل ، ثم عرض لبعض الأسماء علة منعها من الإعراب فبنيت ، وتلك العلة مشابهة الحرف . و عرض لبعض الأفعال ما أوجب لها الإعراب فأعربت ، وتلك العلة مضارعة الأسماء . وبقيت الحروف كلها على أصولها مبنية ، لأنه لم يعرض لها ما يخرجها عن أصولها . فكل اسم رأيتهُ مُعْرَباً فهو / على أصله ، وكل اسم رأيتهُ غير مُعْرَب فهو خارج ١٨ / ب عن أصله ، وكل فعل رأيتهُ مبنياً فهو على أصله . وكل فعل رأيتهُ مُعْرَباً فقد خرج عن أصله ، والحروف كلها مبنية على أصولها (١) .

احتجاج البصريين لذلك : قالوا الدليل على صحة ماقلنا لإجماع الجميع على أن الإعراب إنما دخل الكلام ليفصل بين المعاني المشككة ، ويدل به على الفاعل والمفعول والمضاف والمضاف إليه وسائر ذلك من المعاني التي تعتور الأسماء ، غير قطرب (٢) وقد ذكرنا مذهبه فيما تقدم وبيننا فساده وما يلزمه فيه . قالوا وهذه المعاني موجودة في الأسماء دون الأفعال والحروف ، فوجب لذلك أن يكون أصل الإعراب للأسماء ، وأصل البناء للأفعال والحروف .

دليل آخر للبصريين : قالوا من الدليل أيضاً على أن الأفعال غير مستحقة

(١) قال الزجاجي « وأصل الإعراب للأسماء وأصل البناء للأفعال والحروف ، لان ، الإعراب إنما يدخل في الكلام ليفرق به بين الفاعل والمفعول والمالك والملوك والمضاف والمضاف إليه . وسائر ذلك مما يعتور الأسماء من المعاني وليس شيء من ذلك في الأفعال ولا الحروف » . الجمل : ٢٦٠ .

(٢) ترجمنا له في ص ٧٠ حيث ذكر مذهبه المشار إليه .

الإعراب أنها عوامل في الأسماء بإجماع منا ومن مخالفينا ، فلو وجب أن تكون
معربة لوجب أن تكون لها عوامل تُعربها ، لأنه لا بد للعرب من معرب ،
ثم لم تكن بأحق بالإعراب من عواملها ، فكان يجب من ذلك أن تُعرب
عواملها ثم يجب ذلك ^(١) في عوامل عواملها إلا مالا نهاية له ، وهذا بين فساد
فلما بين فساد هذا وجب أن تكون غير معربة كسائر الحروف العوامل .

وإذا كانت الأفعال غير مستحقة للإعراب لأنها عوامل ، فحروف المعاني
من الإعراب أبعد ، والقول فيها أبين وأظهر .

وقال الكوفيون : أصل الإعراب للأسماء والأفعال ، وأصل البناء للحروف ،
فكل شيء زال عن الإعراب من الأسماء والأفعال فلعلته أزالته عن أصله .

احتجاج الكوفيين لذلك : إعلم أن العلل التي أودعها هذا الكتاب
والاحتجاجات هي على ثلاثة أضرب ؛ منها ما كان مسطرا في كتب البصريين
والكوفيين بالفاظ / مستغلة صعبة ، فعبت عنها بالفاظ قريبة من فهم الناظرين
في هذا الكتاب ، فهذبتها وسهلت مراتبها والوقوف عليها . وضرب منها مما
استنبطته على أصول القوم ، واخترعته حسب ما رأيت من الكلام ينساق فيه
والقياس يطرد عليه . وضرب منها ما أخذته من علمائنا الذين لقيتهم وقرأت
عليهم شفاها ، مما لم يسطر في كتاب ولا يكاد يوجد .

فن العلماء الذين لقيتهم وقرأت عليهم ، شيخنا أبو إسحق إبراهيم بن السري
الزجاج ^(٢) رحمه الله . وأبو جعفر محمد بن رستم الطبري ^(٣) ، غلام أبي عثمان

(١) في الأصل « من ذلك » ولعل الأصح « مثل ذلك » .

(٢) ترجمنا له في ص ٤٠ .

(٣) وقيل هو أحمد بن محمد بن محمد بن رستم الطبري كان بصيرا بالعربية
حاذقا بالنحو ومن القراء ترجمته في انباء الرواة ١: ١٢٨ ونزهة الالباء: ٣٠٥
وبغية الوعاة : ١٦٩ ومعجم الأدباء ٢: ٦٠ وفي طبقات القراء لابن الجزري
١١٤:١ .

المازني^(١) . وأبو الحسن بن كيسان^(٢) . وأبو بكر أحمد بن الحسين بن العباس المعروف بابن شقير^(٣) . وأبو بكر محمد بن أحمد بن منصور المعروف بابن الخياط^(٤) وأبو بكر بن السراج^(٥) . وأبو الحسن علي بن سليمان الأنخشي^(٦) . ومن علماء الكوفيين الذين اخذت عنهم أبو الحسن بن كيسان . وأبو بكر بن شقير . وأبو بكر ابن الخياط . لأن هؤلاء قدوة أعلام في علم الكوفيين ، وكان أول اعتمادهم عليه ، ثم درسوا علم البصريين بعد ذلك فجمعوا بين العلمين . وأبو بكر الأنباري^(٧) ، وأبو موسى المعروف بالحامض^(٨) ، وكان الأغلب عليه علم اللغة ، إلا أننا قد أخذنا عنه حكايات يسيرة . وأبو الفضل الملقب بزبيل^(٩) . وأبو محمد عبد الملك بن مالك الضرير^(١٠) . وغير هؤلاء ممن لم يشهر من الكوفيين . وإنما ذكرت لك أسماء من أخذت عنه وقرأت عليه ، لتكون على ثقة مما أنقله إليك وأسنده إلى كل فريق

(١) هو أبو عثمان بكر بن عثمان المازني أستاذ المبرد . مات سنة ٢٤٩ وقيل سنة ٢٣٦ . ترجمته في طبقات الزبيدي : ١٤٣ ومعجم الأدباء ٧: ١٠٧ وانباه الرواة ١: ٢٤٦ .

(٢) ترجمنا له في ص ٥٠ .

(٣) أبو بكر أحمد بن الحسن بن العباس بن شقير من علماء النحو الذين قالوا بالمذهبين البصري والكوفي مات سنة ٣١٥ هـ ترجمته في الانباه ١: ٣٤ ونزهة الألبا : ٣١٥ وأخبار النحويين البصريين : ١٠٩ وهو مذكور في البغية : ١٣٠ ومعجم الادباء ١: ٤١١ وفهرست ابن النديم : ١٢٣ .

(٤) ترجمنا له في ص ٦٣ .

(٥) ترجمنا له في ص ٥٠ .

(٦) أبو الحسن علي بن سليمان الأنخشي الصغير . قرأ على ثعلب والمبرد ومات سنة ٣١٥ هـ ترجمته في طبقات الزبيدي ١٢٥ وفي معجم الادباء ١٣: ٢٤٦ .

(٧) ترجمنا له في ص ٦٠ .

(٨) أبو موسى سليمان بن أحمد برع في النحو واللغة . أخذ عن ثعلب ومات سنة ٣٠٥ هـ ترجمته في طبقات الزبيدي : ١٧٠ ونزهة الألبا : ٣٠٦ وبغية الوعاة : ٢٦٢ وذكر في فهرست ابن النديم : ١١٧ .

(٩) لم أعثر على ترجمة له .

(١٠) لم أعثر على ترجمة له .

منهم . وأكثر ما أذكره من احتجاجات الكوفيين إنما أعر عنها بألفاظ
البصريين .

ب/١٩ ورجع إلى احتجاج الفراء^(١) والكوفيين . قال الفراء ومن تابعه وانتحل
مذهبهم وناضل عنهم : أمّا ما / احتججتم به للأسماء واستحقاقها للإعراب باختلاف
المعاني التي ذكرتم فصحيح وبه نقول ، وبمثله ندلكم على أن الأفعال أيضاً في
الأصل مستحقة للإعراب كالأسماء، وذلك لما يدخلها من المعاني المختلفة، لوقوعها
على الأوقات الطويلة المتصلة المدة^(٢) فكان قولنا (يقوم زيد) يحتمل معنى قائم
وتأويل سوف يقوم على الاستقبال، فأشبهت الأفعالُ المستقبلية الأسماءَ لاختلاف
معانيها التي يلزمها التصريف من أجلها، كما قالوا: فلان يطيع الله، فأمكن ان تقع
(يطيع) على زمان متصل ، ويطول إلى انقضاء الفاعل . وقالوا : هو يحرص على
ما نفعه . فيقرن بوقتٍ يجوز ألاّ ينقضي إلا بانقضاء الفاعل . فهو من هذه الجهة
كالاسم الذي يلزم المسمى ولا يزاله ، فكان مستحقاً للإعراب من هذه الجهة
كما تستحقه الأسماء .

قال ابو بكر بن الأنباري^(٣) : « ترجم لي بعض شيوختنا هذا المعنى بلفظ
يشاكل ما وصفنا ويقاربه » هذا الفصل حكاية ابن الانباري بعينها .

الرد على من احتج بهذا الفصل ، يقال له : إنما انكرنا عليك قولك إن
الأفعال مستحقة للإعراب في الاصل كما استحققت الأسماء . وإنما جعلت أنت
معتمدك على أن الأفعال إنما اعربت لأنها ضارعت الأسماء . وهذا بعينه قولنا إن
الأفعال المستقبلية ضارعت الأسماء فاستحققت الإعراب لذلك ، لأنها^(٤) في الأصل

(١) ترجمنا له في ص ٥٦ .

(٢) فصل السيرافي حجة الكوفيين هذه في شرح الكتاب ٣ : ١٨٧ .

(٣) ترجمنا له في ص ٦٠ .

(٤) في الأصل « ولأنها » .

مستحقة الإعراب قبل المضارعة ، ألا ترى أن قولك لما كان يقوم ، يحتمل معنى قائم ، ومعنى سوف يقوم على الاستقبال . اشبهت الاسماء هو قول سيبويه بعينه « إن يفعل إنما أعرب لمضارعتة لفاعل » كذلك قولنا في يحرص ويطيع (١) .

احتجاج للكوفيين آخر . قال بعضهم الدليل على ان اصل الإعراب للأسماء والأفعال معاً أن الأفعال أيضاً تختلف معانيها كما اختلفت معاني الاسماء / فتكون ماضية ، ومستقبلية ، وموجبة ، ومنفية ؛ ومجازى بها ؛ ومأموراً بها ، ومنهياً عنها ، وتكون للمخاطب والمتكلم والغائب . والذكر والانثى . فإن كان اختلاف المعاني أوجب للأسماء الاعراب عندكم فاختلفت هذه المعاني في الافعال يوجب إعرابها ، لأنها مثل ذلك أو أكثر . وإلاّ فما الفرق ؟

وكان ابن شقير يعتلّ بمثل هذا الاعتلال ويردده كثيراً . وكان شديد التعصب مع الكوفيين على البصريين ، مع اعتقاده مذهب البصريين .

الجواب عن هذا الاحتجاج . يقال للمحتج به : إن اختلاف معاني الأفعال إنما هو لغيرها لا لها ، لانه إنما تختلف معانيها للأسماء التي تعمل فيها . فهو الذي ذكرناه بعينه من اختلاف المعاني المعتورة للأسماء ، ألا ترى أنا لم نقل إن الإسم يختلف معناه في ذاته ليتغير عن الإسمية ولا يتغير المسمى به ، وإنما اختلاف المعاني الداخلة عليها هو ان تكون فاعلة مرة ومفعولة اخرى . وتكون مأمورة مرة ومنهية اخرى ، وتكون مخبرة مرة مخبراً (٢) عنها ، وموجباً لها الفعل ومنهياً عنها فهذا بعينه هو الذي من اجله وجب للأسماء الإعراب .

(١) رد الزجاجي على الفراء وارجاعه قوله الى قول سيبويه غير وارد . لان الفراء جعل اعراب الفعل باختلاف معانيه أصلاً كاعراب الاسم . وأما سيبويه فشبه المضارع باسم الفاعل من حيث الحركات والسكون وهذا يقتضي الحاق المضارع بالاسم في الاعراب لا كون الاعراب أصلاً في المضارع كما هو رأى الفراء .

(٢) في الأصل « مخبرة » .

احتجاج آخر للكوفيين . قال بعضهم : وقع الفعل بين الأداة والاسم ، يعني بالأداة حروف المعاني ، قال فأشبه الأداة بأنه لا يلزم المعنى في كل الحالات كما يلزم الاسم صاحبه . فصارح « ليت » التي تقع للتمني ، فإذا زال التمني زالت ، وكذلك ما أشبه « ليت » من الأدوات . وأشبه الاسم بوقوعه على دائم الفعل ، وهو الذي قدمنا ذكره . فأعطى بحصة^(١) شبهه الاسم ، الرفع والنصب .
 وُمنع من الخفض لتقصيره عن كل منازل الأسماء . وُخص بالجزم وترك التنوين ب/ ٢٠ في كل حال ، لحصة شبهه الأداة لأن الأداة / حقها السكون و (أ) لا تعرب و (لا) تنون لعدمها تمكن الأسماء^(٢) .

هذا الفصل صحيح ، وهو مذهب البصريين بعينه ، وإن كان بغير ألفاظهم لأن صاحبه جعل العرب من الأفعال مضارعاً للأسماء ، والمبني منها^(٣) مضارعاً لحروف المعاني . هذا قول سيويوه وجميع البصريين .

(١) يريد أن مقدار شبهه بالاسم أكسبه الرفع والنصب ، ومنع الجزم لان الشبه ليس كاملاً . وأن مقدار شبهه بالأداة أكسبه الجزم وعدم التنوين .

(٢) جملة مضطربة في الاصل وقد زدت ما بين القوسين ليستقيم المعنى وقد ذكر السيرافي هذا المعنى في شرح الكتاب ورد عليه ٣: ١٨٧ .
 ويعني أن الاداة لم تعرب ولم تنون لحرمانها من تمكن الأسماء .

(٣) في الاصل « منه » .

باب القول في الاسم والفعل والحرف

أبها أسبق في المرتبة والتقدم

قال البصريون والكوفيون : الأسماء قبل الأفعال ، والحروف تابعة للأسماء ، وذلك أن الأفعال أحداث الأسماء . يعنون بالأسماء أصحاب الأسماء ، وقد مضى القول في اصطلاحهم على هذا . والاسم قبل الفعل لأن الفعل منه ، (و) الفاعل سابق لفعله . وأما الحروف فإنما تدخل (١) على الأسماء والأفعال لمعان تحدث فيها وإعراب تؤثره ، وقد دللنا على أن الأسماء سابقة للإعراب . والإعراب داخل عليها ، والحروف عوامل في الأسماء والأفعال مؤثرة فيها المعاني والإعراب . فقد وجب أن تكون بعدها .

سؤال يلزم القائلين بهذه المقالة . يقال لهم : قد أجمعتم على أن العامل قبل المعمول فيه ، كما أن الفاعل قبل فعله ، وكما أن المحدث سابق لحدثه . وأنتم جميعاً مقرون أن الحروف عوامل في الأسماء والأفعال ، فقد وجب أن تكون الحروف قبلها حقاً سابقة لها . وهذا لازم لكم على أوضاعكم ومقاييسكم (٢) .

الجواب أن يقال ، هذه مغالطة . ليس يشبه هذا الحدث والمحدث ، ولا العلة والمعلول ، وذلك أنا نقول إن الفاعل في جسمٍ فعلاً ما ، من حركةٍ وغيرها ، سابق لفعله ذلك فيه لا للجسم . فنقول إن الضارب قبل ضربه الذي أوقعه بالمشروب . لا يجب من ذلك أن يكون سابقاً للمشروب موجوداً قبله . بل يجب أن يكون سابقاً لضربه الذي أوقعه به . وقد يجوز أن يكون المشروب أكبر سنأ من الضارب .

(١) في الأصل : « تدل » .

(٢) قال السيرافي « وهذا محال فاسد لأن الحروف جاءت لمعان في الاسماء والافعال ولا يقمن بأنفسهن » شرح الكتاب ١٠١ .

ونقول أيضاً؛ إن النجار / سابق للباب الذي نجره . ولا يجب من ذلك أن يكون سابقاً للخشب الذي منه نجر الباب . ومثل هذا واضح بيّن . فكذلك مثال هذه الحروف العوامل في الأسماء والأفعال ، وإن لم تكن أجساماً، فنقول الحروف سابقة لعملها في هذه الأسماء والأفعال الذي هو الرفع والنصب والخفض والجزم ولا يجب من ذلك أن تكون سابقة للأسماء والأفعال نفسها . وهذا بيّن واضح (١) .

(١) قال ابن الانباري « فان قيل فلم قدم الاسم على الفعل والفعل على الحرف ؟ قيل انما قدم الاسم على الفعل لانه الاصل ويستغنى بنفسه عن الفعل نحو زيد قائم . وآخر الفعل عن الاسم لانه فرع عليه لا يستغنى عنه . فلما كان الاسم هو الاصل ويستغنى عن الفعل ، والفعل فرع عليه ومفتقر اليه كان الاسم مقدما عليه . وانما قدم الفعل على الحرف لان الفعل يفيد مع الاسم نحو قام زيد . وآخر الحرف عن الفعل لانه لا يفيد مع اسم واحد لانك لو قلت بزيد أو لزيد من غير أن تعلق الحرف بشيء لم يكن مفيدا . فلما كان الفعل يفيد مع اسم واحد والحرف لا يفيد مع اسم كان الفعل مقدما عليه » (أسرار العربية : ٩) .

باب القول في الأفعال أيها^(١) أسبق في التقدم

لأعلم أن أسبق الأفعال في التقدم الفعل المستقبل . لأن الشيء لم يكن ثم كان ، والعدم سابق للوجود ، فهو في التقدم منتظر ، ثم يصير في الحال (ثم)^(٢) ماضياً فيخبر عنه بالمضي . فأسبق الأفعال في المرتبة المستقبل ، ثم فعل الحال ، ثم الماضي^(٣) .

(١) في الأصل « أيهما » .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) قال السيرافي « ان في ذلك قولين : أحدهما أن المستقبل أول الأفعال ثم الحال ثم الماضي . وهذا شيء كان يذهب اليه الزجاج وغيره . والحجة فيه أن الأفعال المستقبلية تقع بها العدات ثم توجد بعد تقدم الميعاد وانتظار الموعود فيكون حالاً ثم يأتي عليه غير زمان وجوده فيكون ماضياً . والقول الثاني أن الحال هو أول الأفعال ويكون الأقرب اليه في الترتيب المستقبل وتاليه الماضي . . . » ثم يورد الحجة في ذلك . . . شرح الكتاب
١ : ٢٠ .

(الإيضاح ٧)

باب عن فعل الحال وحقيقته

إن قال قائل : قد ذكرت أن الافعال عبارة عن حركات الفاعلين ، والحركة لا تبقى وقتين ، وأصحابكم البصريون يعيرون على الكوفيين القول بالفعل الدائم لهذه العلة نفسها إن الحركة لا تبقى زمانين ، وانه محال قول من قال فعل دائم^(١) وقد جعلتم أتم أيضاً الافعال ثلاثة أقسام فقلتم فعل ماض ، وفعل مستقبل ، وفعل في الحال . فأما الماضي والمستقبل فعقولان . ولم ينفك فعل الحال من ان يكون في حيز الماضي أو الاستقبال ، وإلا رجعت إلى ما انكرتموه .

قيل له : الفعل على الحقيقة ضربان كما قلنا ، ماض ومستقبل ؛ فالمستقبل مالم

(١) قال السيرافي « وقسم الكوفيون الأفعال ثلاثة أقسام : ماض ، ومستقبل ، وهو ما في أوله الزوائد الأربع نحو يقوم وأقوم وتقوم وتقوم ، والثالث الفعل الدائم وهو قائم وذاهب وضارب وأشباهه ، وهو الحال . وكان فيما سموه من ذلك فعلا دائما غلط من وجوه : منها أن (قائم وضارب) ونحوها أسماء بدخول عوامل الاسماء عليها . ومنها أن اعرابها كاعراب الاسماء في الرفع والنصب والخفض . ومنها أنها يدخل عليها التنوين والالف واللام والاضافة فكيف يجوز أن يسموا قائما أو ضاربا فعلا وفيها علامات الأسماء كلها ؟ ومنها أنهم سموه دائما وهذه التسمية تبطل معناها لان الذي سموه دائما ليس بفعل ماض ولا مستقبل فهو فعل في الوقت الحاضر لا يبقى لأنه بمعنى الان وهو حد قياس الماضي والمستقبل ومعنى الدائم أنه يدوم ويبقى . وان قال قائل ضارب تعمل عمل يضرب فسميناه بالفعل لانه يعمل عمله قيل له لو كان الشيء اذا عمل عمل شيء سميناه باسمه لوجب أن نسمى ان وأخواتها أفعالا لانها تنصب كما تنصب الأفعال وكذلك نسمى عشرين وما جرى مجراها أفعالا لانها تنصب كما تنصب الأفعال ونسبي المصدر فعلا لانه ينصب كما ينصب الفعل ونسبي الاسماء التي تخفض ما بعدها حروفا لان أصل الخفض لحروف الخفض والاسماء التي تخفض بتأويل الحروف . . . ولولا الاطالة لذكرت أكثر من هذا . فان قال قائل سميناه ضاربا فعلا لانه لا فرق بين قولنا زيد ضارب عمرا وقولنا زيد يضرب عمرا قيل له : لو جاز أن نحمل ضاربا على يضرب فنسويه فعلا لاستوائهما في المعنى جاز أن نحمل يضرب على ضارب فنسبي يضرب اسما لاستوائهما في المعنى . وهذا قلب للاشياء عن حقائقها » .

شرح الكتاب : ١ ورقة ٤٩٣ .

يقع بعد ، ولا أتى عليه زمان ، ولا خرج من العدم إلى الوجود. والفعل الماضي ماتقضى ، وأتى عليه زمانان لا أقل من ذلك؛ زمان وجد فيه، وزمان نُخبر فيه عنه فأما فعل الحال فهو المتكوّن في حال خطاب المتكلم ، لم يخرج إلى حيز الماضي والانقطاع ، ولا هو في حيز المنتظر الذي لم يأت وقته ، فهو المتكوّن في الوقت الماضي وأول الوقت المستقبل / ففعل الحال في الحقيقة مستقبل ، لأنه يكون أولاً ٢١/ب أولاً ، فكل جزء خرج منه إلى الوجود صار في حيز الماضي . فلهذه العلة جاء فعل الحال بلفظ المستقبل نحو قولك زيد يقوم الآن ، ويقوم غداً ، وعبدالله يركب الآن ، ويركب غداً . فإن أردت أن تخلصه للاستقبال أدخلت عليه السين أو سوف فقلت سيقوم زيد ، وسوف يركب عبدالله ، فيصير مستقبلاً لا غير (١) .

سؤال على البصريين في فعل الحال . يقال لهم : هلاً كان للفعل الحال لفظ ينفرد به من المستقبل ، لا يشركه فيه غيره ليعرف بلفظه أنه للحال ، كما كان للماضي لفظ يعرف به أنه ماضٍ ؟

الجواب . قالوا : لما ضارع الفعل المستقبل الأسماء بوقوعه موقعها ، وبسائر وجوه المضارعة المشهورة التي تذكر في مواضعها مسطرة في كتبهم ، قوي فأعرب وجعل بلفظ واحد يقع بمعينين حملاً له على شبه الأسماء ، كما أن من الأسماء ما يقع بلفظ واحد لمعان كثيرة ، من ذلك العين التي يبصر بها ، وعين الماء ، وعين الركية (٢)

(١) فصل السيرافي القول في ذلك ثم قال « فكل فعل صح الاخبار عن حدوثه في زمان بعد زمان حدوثه فهو فعل ماضٍ . والفعل المستقبل هو الذي يحدث عن وجوده في زمان لم يكن فيه ولا كان قبله . فقد تحصل الماضي والمستقبل وبقي قسم ثالث وهو الفعل الذي يكون زمان الاخبار عن وجوده هو زمان وجوده وهو الذي قال سيبويه عنه وما هو كائن لم ينقطع » .

شرح الكتاب ١٢:١ .

وقد بين ابن يعيش لطف زمان الحال ورد على من أنكره من المتكلمين في شرح المفصل ٤:٧ .

(٢) جاء في مادة «عين» في اللسان « عين الركية مفجر مائها ومنبعها » .

وعين الميزان، وعين القوم وهو الربيثة^(١)، والعين الحاضر من المال، والعين سحابة تنشأ من قبل القبلة، والعين نفس الشيء، والعين مصدرٍ عنَّت الرجل عيناً إذا أصبته بعين^(٢) في أشباه لهذا كثيرة جداً معروفة في اللغة. كذلك جعل الفعل المستقبل بلفظ واحد يقع لمعنيين ليكون ملحقاً بالأسماء حين ضارعها. والماضي لم يضارع الأسماء فتكون له قوتها، فبقي على حاله.

(١) في مادة « ربا » من اللسان جاء قوله « الربيثة الطليعة وانما أنثوه لان الطليعة يقال له العين والعين مؤنثة . والجمع الربايا » وفي مادة « عين » جاء « اعتان فلان لنا أى صار عيناً أى ربيثة » .

(٢) تجد هذه الامثلة مع شيء يسير من التغيير في اللفظ في شرح كتاب سيبويه للسيرافي ١: ١٨٧ .

باب ذكر العلة في تسمية هذا النوع من العلم نحو

إن سأل سائل فقال : ما السبب في تسمية هذا النوع من العلم نحو ولم حكم به ؟ قيل له : السبب في ذلك ما حكى عن أبي الأسود الدؤلي (١) أنه لما سمع كلام المولدين/ بالبصرة من أبناء العرب ، أنكر ما يأتون به من اللحن لمشاهدتهم الحاضرة وأبناء العجم . وأن ابنة له قالت له ذات يوم : يابه (٢) ما أشدُّ الحَرَ ، فقال لها : الرمضاء في الهاجرة يابنية . أو كلاماً نحو هذا ، لأن في الرواية اختلافاً فقالت له : لم أسألك عن هذا ، إنما تعجبت من شدة الحر . فقال لها : فقولي إذا ما أشدَّ الحرَّ . ثم قال : إنا لله ، فسدت ألسنة أولادنا . وهمَّ أن يضع كتاباً يجمع فيه أصول العربية، فنعه من ذلك زياد (٣) . وقال : لا تؤمن أن يتكل الناس عليه ويتركوا اللغة وأخذ الفصاحة من أفواه العرب ، إلى أن فشا اللحن وكثر وقبح . فأمره أن يفعل ما كان نهاه عنه ، فوضع كتاباً فيه جمل العربية ثم قال لهم : انحوا هذا النحو ، أي اقصوه . والنحو القصد ، فسمي لذلك نحواً (٤) .

ويقال إنه أول من سطر في كتاب الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى . فستل عن ذلك فقال : أخذته من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليه وسلم (٥) .

وقد يغلب الاسم أو الصفة أو اللقب على شيء فيعرف به خاصة دون غيره ممن هو في معناه . ألا ترى أن الفقه الفهم ، يقال فقهاء الحديث مثل فهمت ،

(١) هو ظالم بن عمرو . قيل انه أول من كتب في النحو . مات سنة ٦٩ هـ وقد ذكر السيرافي نسبه بالتفصيل . شرح الكتاب ١: ٣٠٨ .
(٢) أصلها « يا أبه » بتاء تقلب عند الوقف هاء .
(٣) زياد بن أبيه وكان والي العراق وقصته مع أبي الاسود مروية على غير هذا الوجه في وفيات الأعيان في ترجمة أبي الاسود .
(٤) في الحدود النحوية للفاكهي « النحو علم بأصول يعرف بها أحوال وأواخر الكلم اعراباً وبناء » .
(٥) وانظر الكلام على أولية النحو في كتابنا « النحو العربي » .

ورجل فقيه و فقيه أي فهم . ثم صار الفقه علم الدين خاصة ، فإذا قيل رجل فقيه
فإنما يراد العالم بأمر الشريعة ، وإن كان كل من فهم علماً وحذقه فهو فقيه به .
وكذلك الطب هو الحذق . يقال منه رجل طب وطبيب ، إذا كان حاذقاً ، ثم
لزم الطبيب من عني بعلم الفلاسفة المؤدي إلى حفظ الصحة ، والكاسب للصحة
خاصة . ومثل هذا كثير .

باب الفرق بين النحو واللغة والاعراب والغريب

النحو اسم لهذا الجنس من العلم . وقد بيننا اشتقاقه ، وذكرنا السبب في تسميته بذلك . والإعراب أصله البيان . يقال : أعرب الرجل عن حاجته إذا ابان / ٢٢ ب/ عنها ، ورجل مُعَرَّب أي مبين عن نفسه ، ومنه الحديث « الثيب تعرب عن نفسها (١) » . هذا أصله . ثم إن النحويين لما رأوا في أواخر الأسماء والأفعال حركات تدل على المعاني ، وتبين عنها ، سموها إعرابا (٢) أي بيانا . وكأن البيان بها يكون . كما يسمى الشيء باسم الشيء إذا كان يشبهه أو مجاوراً له . ويسمى النحو إعرابا ، والإعراب نحواً سماعاً ، لأن الغرض طلب علم واحد (٣) . واما اللغة ، وهي العربية التي فضل الله عز وجل بها العرب وأنطقهم بها ، فهي لغتهم . كما أن لكل قوم لغة يتكلمون بها (٤) .

واللّسن - بكسر اللام - اللغة ايضاً . حكى أبو عمرو لكل قوم لِسْن أي لغة يتكلمون بها .

والإعراب الحركات المبيّنة عن معاني اللغة . وليس كل حركة إعراباً ، كما أنه ليس كل الكلام مُعَرَّباً (٥) .

(١) «الثيب تعرب عن نفسها والبكر رضاها صمتهاء» رواه أحمد في مسنده ٤: ١٩٢ وابن ماجه في سننه ١: ٦٠٢ .

(٢) ذكر ابن الانباري ثلاثة أوجه تبيين التسمية بالاعراب في أسرار العربية : ٩ .

(٣) جاء في الحدود النحوية للابدي « حد الاعراب لفظاً ما جرى به لبيان مقتضى العامل من حركة أو سكون أو حذف » .

وحده معنى تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً ، الورقة : ٢ .

(٤) قال ابن جنبي : «اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» . الخصائص ١ : ٣٣ .

(٥) قال ابن جنبي : «الاعراب هو الابانة عن المعاني بالالفاظ» . الخصائص

والدليل على صحة ما قلنا من معنى اللغة والإعراب، والفرق بينهما، أنه ليس كل من عرف الإعراب (و) (١) فهم وجوه الرفع والنصب والخفض والجزم، أحاط علماً باللغة كلها ولا فهمها. ولا من فهم من اللغة قطعة ولم يُرِض نفسه في تعلّم الإعراب، عرف الإعراب، ولا درى كيف مجاريه. وهذا بيّن واضح. وأما الغريب فهو ما قلّ استماعه من اللغة. ولم يدُرْ في أفواه العامة، كما دار في أفواه الخاصة كقولهم: صكمت (٢) الرجل أي لكمته. وكقولهم للشمس يوح (٣)، وقولهم رجل ظروري (٤) للكَيْس. وقولهم للقصير الغليظ "ظرب" (٥). وقولهم فلان مخربق لينباع (٦) أي مطرق ليثب، وقيل ساكت، وقيل منتظر فرصة.

وهذا كثير جداً، وهذا وما أشبهه، وإن كان عربياً عند قوم، فهو معروف عند العلماء، وليس كل العرب يعرفون اللغة كلها، غريبها وواضحها ومستعملها وشاذها، بل هم في ذلك طبقات يتفاضلون فيها. كما أنه ليس كلهم يقول الشعر ويعرف الأنساب كلها، وإنما هو في بعض دون بعض. وأما اللغة الواضحة المستعملة سوى الشاذ والنوادر، فهم فيها شرع واحد.

(١) زيادة يقتضيها المعنى .

(٢) جاء في اللسان : صكمه صكما ، ضربه ودفعه . وعن الاصمعي صكمته ولكمته . . . كله اذا دفعته .

(٣) يوح من أسماء الشمس كما في اللسان .

(٤) جاء في مادة ظرا من اللسان . الظروري : الكيس ظرى يظري اذا كاس .

(٥) في الاصل (ظروب) والصواب ما ذكرت . جاء في اللسان : الظرب على مثال عتل ، القصير الغليظ .

(٦) جاء في مادة خرنق : المخربق المطرق الساكت الكاف . وفي المثل مخربق لينباع أي ليثب أو ليسطو اذا أصاب فرصة فمعناه أنه سكت لدهاية يريدها .

باب القول في معنى الرفع والنصب والجر / من طريق اللغة

قد قلنا إن الإعراب حركة ودللتنا على معناه . والحركة لا تقوم بنفسها ولا توجد إلا في حرف ، فلما كان الرفع والنصب والجر قد يكون في الكلام بأشياء سوى (١) الحركة كما بينا ذلك فيما تقدم ، وكان الأصل الحركة ، وهو الأعم الأكثر ، نسبوا ذلك كله إلى الحركة ، فنسبوا الرفع كله إلى حركة الرفع لأن المتكلم بالكلمة المضمومة يرفع حنكه الأسفل إلى الأعلى ويجمع بين شفتيه ويُجعل ما كان منه بغير حركة موسوماً ايضاً بسمة الحركة لأنها هي الاصل . والمتكلم بالكلمة المنصوبة يفتح فاه ، فيبين حنكه الأسفل من الاعلى ، فيبين للناظر إليه كأنه قد نصبه لإبانة احدهما عن صاحبه . وأما الجر فإنما سمي بذلك لان معنى الجر الإضافة ؛ وذلك ان الحروف الجارة تجر ما قبلها فتوصله إلى ما بعدها كقولك مررت بزيد ، فالباء أوصلت مرورك إلى زيد . وكذلك المال لعبد الله . وهذا غلام زيد .

هذا مذهب البصريين وتفسيرهم . ومن سماه منهم (٢) من الكوفيين خفضاً ، فإنهم فسروه نحو تفسير الرفع والنصب فقالوا لانخفاض الحنك الأسفل عند النطق به ، وميله إلى إحدى (٣) الجهتين .

واما الجزم فأصله القطع (٤) . يقال جزمت الشيء وجذمته (٥) وبترته

(١) في الاصل (لاشياء لسوى الحركة) والصواب ما ذكرت وهو يريد ما سبق أن ذكره من الاعراب بالالف والواو والياء وغيرها . انظر ص ٧٢ وما بعدها .

(٢) زيادة للسباق .

(٣) في الاصل « أحد » .

(٤) جاء في اللسان : الجزم القطع . . . ومنه جزم الحرف ، وهو في الاعراب كالمسكون في البناء . . . المبرد : انما سمي الجزم في النحو جزماً لان الجزم في كلام العرب القطع . يقال أفعل ذلك جزماً فكأنه قطع الاعراب عن الحرف .

(٥) الجزم والخدم والحزم كلها بمعنى القطع .

وجذذته (١) وصلته (٢) وفصلته وقطعت بمعنى واحد. فكأن معنى الجزم قطع الحركة عن الكلمة ، هذا أصله ، ثم جعل منه ما كان بحذف حرف على هذا ، لان حذف الحركة وحذف الحرف جميعاً يجمعهما الحذف . وكان المازني (٣) يقول : الجزم قطع الإعراب . فعنى جزم الفعل المستقبل قطع الإعراب عنه ، وذلك أن الفعل المستقبل ، عنده وعند جميع البصريين ، إنما يعرب إذا وقع موقع اسم . فقولك مررت برجل يقوم ، تقديره مررت برجل قائم ، وكذلك محمد ينطلق ، تقديره محمد منطلق . قال المازني : فإذا قلت زيد لم يقم ، فقد وقع الفعل موقعاً لا يقع فيه الاسم ، فرجع إلى أصله وهو البناء .

ب/٢٢ وأقول إن هذا القول غير صحيح . وما اراه بيناً عنه . وذلك / أنه يجب من هذا ان تكون الافعال أيضاً في حال النصب غير معربة في قولك : إذا أكرمك ولن يقوم زيد وما أشبه ذلك ، لانها قد وقعت موقعاً لا تقعها الاسماء . والمازني يقول هي معربة ، ومع ذلك فإن المبني لا يتغير عن حاله، وهذه الافعال تغيرها العوامل .

(١) جذذت الشيء : قطعتة وكسرتة ، والجذ والحذ بمعنى القطع المستأصل .

(٢) صلّم الشيء صلما قطعه من أصله .

(٣) ترجمنا له في ص ٧٩ .

باب ذكر الفائدة في تعلم النحو

فإن قال قائل : فما الفائدة في تعلّم النحو ، وأكثر الناس يتكلمون على سجيّتهم بغير إعراب ، ولا معرفة منهم به ، فيفهمون ويفهمون غيرهم مثل ذلك؟ فالجواب في ذلك أن يقال له : الفائدة فيه الوصول إلى التكلّم بكلام العرب على الحقيقة صواباً غير مبدل ولا مغيّر ، وتقويم كتاب الله عز وجل ، الذي هو أصل الدين والدنيا والمعتمد ، ومعرفة أخبار (١) النبي صلى الله عليه وسلم ، وإقامة معانيها على الحقيقة . لأنه لا تفهم معانيها على صحة إلا بتوفيتها حقوقها من الإعراب . وهذا ما لا يدفعه أحد ممن نظر في أحاديثه صلى الله عليه وسلم وكلامه . وقد قال الله عز وجل في وصف كتابه (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) (٢) . وقال (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) (٣) وقال (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِيَاجٍ) (٤) فوصفه بالاستقامة كما وصفه بالبيان في قوله (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) وكما وصفه بالعدل في قوله (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا) (٥) .

وأخبرنا أبو إسحق الزجاج (٦) قال : سمعت أبا العباس المبرّد (٧) يقول : كان بعض السلف يقول عليكم بالعربية ، فإنها المروءة الظاهرة ، وهي كلام الله عز وجل وأنبياؤه وملائكته .

(١) يعني أحاديثه .

(٢) تنمة الآية « لعلكم تعقلون » سورة يوسف الآية : ٢ .

(٣) (وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) سورة الشعراء الآيات ١٩٢-١٩٥ .

(٤) تتمتها « لعلهم يتقون » الزمر . الآية ٢٨ .

(٥) تتمتها « ولئن أتبعنا أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق » سورة الرعد . الآية ٣٧ .

(٦ ، ٧) ترجمنا له في ص ٤٠ .

وقال ابن عباس : ما أنزل الله تعالى كتاباً إلا بالعربية ، ثم ترجم لكل نبي على لسان أمته وقال عمر بن الخطاب : عليكم بالعربية ، فإنها تثبت العقل وتزيد في المروءة .

وقال عمر أيضاً : لأن أقرأ فأخطيء أحبُّ إلي من أن أقرأ فألحن . لأنني إذا أخطأت رجعت ، وإذا لحت افترت .

وقال أبو بكر وعمر : تعلّمُ إعراب القرآن أحبُّ إلينا / من تعلّم حروفه . وقال عمر لقوم رموا فأساؤوا الرمي فقال : بشس ما رميتم . فقالوا : إننا قوم متعلمين فقال : والله لخطؤكم في كلامكم أشد من خطئكم في رميكم . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول : « رحم الله امرأً أصلح من لسانه » وقال بعض السلف : ربما دعوت فلحنت ، فأخاف ألاّ يُستجاب لي . وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام « قيمة كل امرئ ما يحسن » وهذا قول جامع في فنون العلم .

٢٤/أ

وبعد فأدب العرب وديوانها هو الشعر ، ولن يمكن أحداً^(١) من المولدين إقامته إلا بمعرفة النحو . ولا يطيق أحد من المتكلفين قول الشعر أن يتعاطى قوله إلا بعد إتقانه وجوه العربية ، فإن تكلفه منهم متكلف ، غير عارف بالعربية . خبط في عشواء ، وبان عواره للخاصة في أقرب مدة .

وهذا باب يطول جداً ، أعني مدح العربية والنحو ، وفيما ذكرت منه مقنع في هذا الموضع . فأما من تكلم من العامة بالعربية بغير إعراب فيُفهم عنه ، فإنما ذلك في المتعارف المشهور والمستعمل المألوف بالدراية . ولو التجأ أحدهم إلى الإيضاح عن معنى ملتبس بغيره ، من غير فهمه بالإعراب ، لم يمكنه ذلك . وهذا أوضح من أن يُحتاج إلى الإطالة فيه .

(١) في الاصل « أحد » .

باب ذكر علة دخول التنوين في الكلام ووجوهه

اعلم أن التنوين يدخل في الكلام لثلاثة معان .

احدها الفرق بين المتمكن الخفيف في الأسماء ، وبين الثقيل الذي ليس بتمكن ، كذلك قال سيبويه (١) : والتنوين علامة للأمكن عندهم ، وتركه علامة لما يستثقلون (٢) فجعله سيبويه فارقاً بين المتصرف من الأسماء وغير المتصرف وجعله لازماً للمتصرف لخفته .

وقال الفرّاء (٣) التنوين فارق بين الاسماء والأفعال . فقليل له : فهلاًّ يُجعل لازماً للأفعال ؟ فقال : الأفعال ثقيلة ، والأسماء خفيفة ، فجعل لازماً للأخف . وهذا القول مأخوذ من الأول . / لأن ما لا ينصرف مضارع الفعل ، وقد رجع ٢٤ / ب ذلك إلى معنى واحد .

وقال بعض الكوفيين ، التنوين فاصل بين المفرد والمضاف . وهذا احد المعاني التي يدخل لها التنوين .

والمعنى الثاني أن يكون عوضاً من محنوف من الكلمة . وذلك قولك هؤلاء جوارٍ وسوارٍ وغواشٍ وقواصٍ . وذلك ان التنوين في هذا الجنس عوض من نقصان البناء ، ولذلك صار لازماً . وأصله جوارٍ وسوارٍ ، فاستثقلت الضمة في الياء المكسور ما قبلها . وكذلك كان في حال الجر ، مررت بجوارٍ وسوارٍ مثلاً ، فاستثقلت للكسرة قبلها ايضاً فأسكنت ، فلما سكنت نقص البناء ،

(١) قال سيبويه « اعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض . فالأفعال أثقل من الاسماء لان الاسماء هي الاول وهي أشد تمكناً ، فمن ثم لم يلحقها تنوين ولحقها الجزم والسكون » الكتاب ١ : ٦ .

(٢) الكتاب ٧ : ١

(٣) ترجمنا له في ص ٥٦ .

فأدخل عليه التنوين عوضاً من نقص البناء، فسقطت الياء لسكونها وسكون التنوين بعدها ، فقيل جوارٍ يا هذا . فهذا في حال الرفع والجر منونٌ كما ترى تقول هؤلاء جوارٍ وسوارٍ ، ومررت بجوارٍ وغواشٍ . ولولا ان التنوين عوض من نقصان البناء ؛ لما دخله التنوين ، لأن هذا المثال لا ينصرف على حال في معرفة ولا نكرة إذا لم يكن معتلّ اللام ، نحو مساجد ومضارب ، فإذا صرت إلى حال النصب وفيتته حظّه من الإعراب ، لخفة الفتحة فنعتته الصرف ، فقلت : رأيت جوارٍ وغواشيّ وسوارٍ . لأنه حين تم بناؤه رجع إلى اصله فلم ينصرف لذلك فالتنوين في هذا الجنس من الأسماء عوض من نقصان البناء كما ترى . فإن كان من هذا الجنس المعتلّ اللام ما ينصرف نظيره ، جعلته مصروفاً في النصب فقلت هذا قاضٍ وغازٍ ورامٍ ، ومررت بقاضٍ وغازٍ ورامٍ ، ورأيت قاضياً وغازياً ورامياً ، فصرفته . فإن سميت امرأة باسم من هذه الأسماء ، كان في حال الرفع والخفض منوناً في المعرفة ، وفي حال النصب غير منون ، فقلت في امرأة اسمها قاضي : هذه قاض ، ومررت بقاض ، ورأيت قاضيّ فاعلم فلم تصرفها في حال النصب ، لأن المذكر إذا سمي به مؤنث لم يصرف في المعرفة ، قلت حروفه أو كثرت / وإنما نونته في حال الرفع والخفض ، كما نونت جوارٍ وغواشيّ ، لأن التنوين فيه عوض من نقصان البناء . والفرق بين قاضٍ وغازٍ وبابه ، وبين جوارٍ وغواشٍ وبابه ، أن قاضياً وما أشبهه مستحق للتنوين منصرف . فلما لحقه النقصان في حال الرفع والخفض ، صار فيه عوضاً من نقصان البناء فلزمه ، وباب جوارٍ وغواشٍ غير مستحق للتنوين ، لأنه من باب مساجد وضوارب ، فلما لحقه النقصان أدخل عليه التنوين عوضاً من نقصان البناء .

والمعنى الثالث الذي يدخل التنوين من أجله ، هو أن يكون فرقاً بين الأسماء المعرفة والنكرة في بعض الأسماء خاصة . وهي الأسماء التي في أواخرها زوائد من الألفاظ الأعجمية نحو عمرويه وبكرويه وسيبويه وما أشبه ذلك ، لأن هذه الأسماء

لما جاءت في أواخرها ألفاظ ليست في كلام العرب استثقلوها ، فأجروها مجرى الأصوات ، ومنعوها الإعراب ، وبنوها على الكسر لسكون ما قبل أواخرها فيقولون هذا عمرويه ، وبكرويه ، ورأيت عمرويه وبكرويه ، ومررت بعمرويه وبكرويه ، بالكسر في كل حال . فإذا أرادوا تنكيرها نونوها ، فقالوا هذا عمرويه ومررت بعمرويه آخر ، فجعلوا التنوين دليلاً على المنكور منها ، وكذلك الأصوات وحكاياتها ، يقال : قال الغراب غاق ، إذا أرادوا التعريف كأنهم قالوا قال الصوت الذي تعرفه وسمعت به ، فلم ينونوه . وإذا أرادوا التنكير نونوا ، فقالوا : قال الغراب غاق يا هذا ، كأنهم قالوا : قال صوتاً من الأصوات . وكذلك جميع الأصوات والحكايات والزجر ، يفرق بين معرفتها ونكرتها بالتنوين (١) .

(١) يفغل الزجاجة ذكر تنوين المقابلة ، ولعله يراه للتمكين فقد قال بذلك بعض النحويين وانظر مغنى اللبيب ٢: ٣٧٦ .

باب ذكر علّة ثقل الفعل وخفّة الاسم

قال البصريون : الفعل أثقل من الاسم . لأن الأسماء هي الأولى . وهي أشدّ تمكناً من الأفعال ، لأن الأسماء يستغني بعضها ببعض عن الأفعال . كقولك : الله ربنا ، ومحمد نبينا ، وزيد أخوك . والفعل لا يستغني عن الاسم ، ولا يوجد إلاّ به ^(١) . وكشف بعضهم عن هذا المعنى ابين من هذا فقال : وجه ثقل الفعل ب / ٢٥ وخفّة / الاسم أن الاسم إذا ذكر فقد دلّ على مُسمّى تحته ، نحو رجل وفرس ولا يطول فكر السامع فيه ، والفعل إذا ذكر لم يكن (بدّ) ^(٢) من الفكر في فاعله ، لانه لا ينفك منه ، ويستحيل وجوده من غير فاعل . قالوا : ولذلك صارت النكرات من الأسماء أخفّ من المعارف ، لأنه إذا ذُكر الواحد منها دلّ على مُسمّى تحته ، بغير فكر في تحصيله بعينه ، وإذا ذُكر الاسم المعروف فلا بدّ من الفكر في تحصيله دون سائر من يشركه فيه . الا ترى أنك إذا قلت : جاءني رجل ، فليس للسامع فكر في تحصيله ، لأنه واحد من جنس . وإذا قلت : جاءني محمد ، ذكرت واحداً معروفاً فسيبيله ان يحصّله ^(٣) بعينه من سائر من قد يشركه في التسمية ، وإلاّ لم يكن لذلك معنى ، وكنت تقول له : جاءني رجل يقال له محمد وإنما تقول له هذا عند ظنّك بأنه عارف به وربما أشكل ^(٤) .

وقال آخرون : إنما خفّ الاسم لأنه لا يدل إلا على المسمّى الذي تحته . وثقل

(١) ذكر سيبويه ذلك في «الكتاب» ٦:١ وفصله السيرافي في « شرح الكتاب » ١٦٦:١ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) في الاصل (يحمله) .

(٤) قال سيبويه « واعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة وهي أشد تمكناً ، لان النكرة أول ثم يدخل عليها ما تعرف به » الكتاب ٦:١ وتجد رأى السيرافي في كون التعريف أثقل من التنكير في شرح الكتاب ٧٤:٤ .

الفعل لدلالته على الفاعل ، والمفعول والمفعولين والثلاثة ، والمصدر ،
والظرفين من الزمان والمكان ، والحال ، وما أشبه ذلك .

وقال الكسائي^(١) ، والفرّاء^(٢) ، وهشام^(٣) : الاسم أخف من الفعل ، لأن
الاسم يستتر في الفعل ، والفعل لا يستتر في الاسم .

وكان ثعلب^(٤) يقول : الأسماء أخف من الأفعال ، لأن الأسماء جوامد لا
تتصرف ، والأفعال تتصرف . فهي أثقل منها .

(١) هو أبو الحسن علي بن حمزة . كان اماما في النحو واللغة والقراءة .
مات سنة ١٨٩ وقيل سنة ١٩٣ هـ . ترجمته في طبقات الزبيدي : ١٣٨
ونزهة الالبا : ٨١ ومعجم الادباء ١٦٧:١٣ وانباء الرواة ٢: ٢٥٦ .

(٢) ترجمنا له في ص ٥٦ .

(٣) هو أبو عبد الله هشام بن معاوية الضرير . من نحاة الكوفة مات
سنة ٢٠٩ هـ . ذكر في بغية الوعاة : ٤٠٩ ومعجم الادباء : ١٩: ٢٩٢ .

(٤) أبو العباس أحمد بن يحيى . كبير نحاة الكوفة في عصره . مات
سنة ٢٩١ هـ وترجمته مستوفاة في طبقات الزبيدي : ١٥٥ ونزهة الالبا : ٢٩٣
ومعجم الادباء : ٥ : ١٠٢ - ١٤٦ وانباء الرواة ١: ١٣٨ .

باب علة امتناع الأسماء من الجزم

قال سيبويه في ذلك قولين . قال في أول الرسالة ، وهو القول الذي يعتمد عليه أصحابه ، لم تجزم الأسماء لخفتها ولزوم التنوين إياها ، فلو جُزمت سقطت منها الحركة والتنوين ، فكانت تختل^(١) وذلك أنك لو أردت جزم جعفر لزمك إسكان الراء ، وبعدها التنوين ، فكان يلزم حذف التنوين ، لأنه ساكن وقبلة الراء ساكنة ، فكان يختل الاسم لذلك . ومع ذلك فإنه قد يكون من الأسماء ما يكون الحرف الذي قبل آخره ساكناً ، نحو زيد وبكر وما أشبه ذلك ، فلو جزم هذا النوع من / الأسماء اجتمع فيه ثلاث سواكن فلم يمكن ذلك .

أ / ٢٦

سؤال على أصحاب سيبويه ، يقال لهم : فهلاً حين قدرتم إسكان الراء من جعفر للجزم ، وبعده التنوين كما ذكرتم ، حرّكتم أحسد الساكنين ولم تقدرُوا حذفه ؟

الجواب أن يقال له : لو حرّكنا الراء من جعفر لالتقاء الساكنين بطل لفظ الجزم من الكلام ، لأنه كان كلاً جزم وأسكن^(٢) آخره للجزم ، يلزم أن يحرّك لالتقاء الساكنين ، وهما الحرف الأخير والتنوين الذي بعده ، وكان يبطل لفظ الجزم من الكلام . مثال ذلك : أنك لو أردت جزم مثال جعفر ، لزمك إسكان آخره وتحريكه للتنوين الذي بعده .

سؤال آخر على أصحاب سيبويه في هذا المذهب . يقال لهم : فهلاً حذفتم

(١) قال سيبويه « وليس في الأسماء جزم لتمكنها وللحاق التنوين ، فاذا ذهب التنوين لم يجمعوا على الاسم ذهابه وذهاب الحركة » الكتاب ١ : ٣ وشرح السيرافي ذلك مبيناً السبب في دخول التنوين على الاسم . « شرح الكتاب » ١٩ : ١ و ٢٠ .

(٢) الواو زيادة ليست في الاصل .

آخر الحروف^(١) وأبقيتم على التنوين لالتقاء الساكنين ، كما تفعلون ذلك في الافعال المعتلة اللامات ، نحو يقضي ويغزو وما أشبه ذلك ، فإذا جزمتموها حذفتم أواخرها ، وقد كانت أواخرها عندكم في نيّة حركة قبل الجزم في حال الرفع ، لأن الجازم يدخل على الفعل المرفوع فيجزمه ، لأن المنصوب لا يدخل عليه الجازم . فلم أجزم في الافعال حذف حركة وحرف ، ولم تجزوا ذلك في الاسماء وقلم إنها تختل ؟

الجواب في ذلك أن يقال : إن الافعال المعتلة اللامات قد سلبت حركتها في حال الرفع ، فصار يُنطق بها غير متحركة لاستتقال الحركات فيها ، فصارت بمنزلة غير متحرك ، كقولك زيد يقضي ويمشي ويدعو ويغزو ، فصار في هذه الحال بمنزلة سائر السواكن ، فلما دخل عليه الجازم^(٢) حذف الساكن لأن الجزم هو القطع ، فإذا صادف الجازم حركة حذفها ، وإذا لم يصادف حركة وصادف حرفاً ساكناً حذفه ، لئلا يكون الجزم كالرفع^(٣) ، فلم يحذف الجزم غير حرف واحد ، ولم يحذف الحركة لأنها قد كانت حذفت قبله لعلّة أخرى ، والاسم ليس كذلك لأنه متحرك الآخر ، وأنت تسلب منه الحركة للجزم ، ثم يلتقي الساكنان فيحذف آخره ، فيكون الجزم ذهب الحركة والحرف معاً / فكان يخل . ٢٦/ب
والدليل على صحة ما قلناه ، أن من يجري المعتل مجرى الصحيح من العرب ، فيقول : زيد يقضي ويمشي ويغزو ويدعو ، فيحرك آخره في حال الرفع ، لا يحذف منه في حال الجزم إلا الحركة وحدها ، ويدع الحرف ، فيقول : زيد لم يقضي ولم يمشي بإثبات الياء ، فيجعل حذف الحركة علامة

(١) في الاصل « آخر الحرف » . والصواب آخر حرف أو آخر الحروف كما ذكرت .

(٢) في الاصل « الساكن » .

(٣) قال سيبويه « اعلم أن الاخر اذا كان يسكن في الرفع حذف في الجزم لئلا يكون الجزم بمنزلة الرفع » « الكتاب » ٧:١ .

للجزم . وكذلك يقول في الرفع زيد يغزو ويدعو ، لأنه يجريه مجرى الصحيح . وهي لغة للعرب ^(١) مشهورة متفق على حكايتها . وأنشدوا من هذه اللغة :

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادٍ ^(٢)

جعل إسكان الياء في يأتيك علامة للجزم ، لأنه كان يضمها في حال الرفع . سؤال آخر على أصحاب سيبويه في هذا المذهب يقال لهم : فإذا كنتم إنما امتنعتم من جزم الأسماء لثلاث تحذفوا منها حركة وتنويناً كراهية أن تختل ، فما بالكم تقولون : هذا قاضٍ وغازٍ وداعٍ ومشترٍ ومهتدٍ . ومررت بقاضٍ وغازٍ وداعٍ وما أشبه ذلك من الأسماء اللواتي في أواخرها ياءات مكسور ما قبلها ، فتحذفون منها في حال الرفع الضمة ، وفي حال الخفض الكسرة ، ثم تحذفون الياء لسكونها وسكون التنوين ، فتذهبون من الاسم حرفاً وحركة ، وهذا هو الذي من أجله امتنعتم من جزم الأسماء بزعمكم ؟

الجواب أن يقال : إن هذا الاختلال ، وإن كان يلحق بعض الأسماء لاعتلالها ، فليس بلازم للأسماء كلها ، فاحتمل في ذلك أن كان غير عام للأسماء كلها . ونحن لو أوجبنا للأسماء من أول وهلة الجزم لحقها الحذف والاختلال

(١) في الاصل « لغة العرب » .

(٢) هذا البيت لقيس بن زهير العبسي الجاهلي . ورد في كتاب سيبويه وعلق عليه الشنتمري بقوله « أثبت الياء في حال الجزم ضرورة ، لأنه إذا اضطر ضمها في حال الرفع تشبيهاً بالصحيح ، وهي لغة لغيره ضعيفة فاستعملها عند الضرورة » الكتاب ١٥:١ وأما سيبويه فقال « أسكن الياء حملاً لها على الصحيح وهي لغة للعرب يجرون المعتل مجرى السالم في جميع أحواله . وقد استعملها ضرورة » . الكتاب ٥٩:٢ وقال السيرافي بعد ذكر التأويل السابق : « وفي الناس من يتأوله على غير هذا ، فيقول : نحن إذا قلنا يأتيك في حال الرفع نقدر ضمة محذوفة ، فإذا جزمناه قدرنا حذف تلك الضمة وإن لم يظهر شيء من ذلك في اللفظ ، كما نقول : رأيت العصا ومررت بالعصا وهذه العصا ، فتكون في النية حركات مختلفة لا تظهر في اللفظ ، ويشد هذا قراءة ابن كثير « انه من يتقي ويصبر » في بعض الروايات عنه » شرح الكتاب ١٢: ورقة ٢٠٩ وورد هذا البيت أيضاً في لسان العرب حيث أضاف ابن منظور رواية ثانية منقولة عن الاصمعي ، هي : ألا هل اتاك . . . الخ اللسان ٢٨٤:٦ والبيت في كتاب « شرح الابيات المشككة الاعراب » : ٩٩ . والمغنى

فكان يكون ذلك لإجحافاً بها أصلاً . وما لم يكن عاماً وكان نزرأ يسيراً في جنب الأسماء الصحاح ، كان أسهل فاحتمل فيه ذلك .

جواب آخر أن يقال : إن هذه الأسماء المعتلة اللامات نحو قاض وداع وما أشبه ذلك ، وإن كان يلزمها الحذف في بعض الأحوال ، فليس بلازم لها . ألا ترى / إذا أدخلت فيها الألف واللام أو أضفتها لم تسقط منها شيئاً . كقولك : ٢٧ / أ هذا القاضي والغازي والداعي ، وهذا قاضي واسط ، وغازي بلاد العدو ، وما أشبه ذلك . فلما كان الحذف إنما يلحقها في حال واحدة استجازوه فيها ، فلم يكن مفسداً لأصولها ولا ناقضاً لمعنى . ولو أوجبنا لها ولسائر الأسماء الجزم ، كان حذف الحركة لازماً لها في كل حال ، وكان الحكم على لزوم الاختلال لها واجباً ، فلم يجز لذلك .

جواب آخر ثالث : وهو أن هذه الأسماء يجربها كثير من العرب بالإعراب ولا يستقلون فيها الحركات ، فلا يحذفون منها شيئاً في حال رفع ولا نصب ولا خفض ، فيقولون : هذا قاضي وغازي وداعي . ومررت بقاضي وغازي وداعي ^(١) وكذلك ما أشبهه فيجرونه بالإعراب ولا يحذفون منه شيئاً . فهذا السؤال ساقط على مذهب هؤلاء .

جواب رابع يقال : هذه الأسماء لما كانت معتلة ، ولم تسع الحركات فيها في حال الرفع والخفض ؛ جعل التنوين فيها عوضاً من نقصان البناء ، لا علامة للصرح . فلما لزمها التنوين حذفت الياء وبقي ما يدل عليها وهي الكسرة . فكان في التنوين عوض من نقصان الياء وفي الكسرة دليل على الياء .

والدليل على أن التنوين في هذه الأسماء عوض من نقصان البناء ، تنوينك مثل : جوار وقواض وغواش وسوار ، في حال الخفض والرفع . فأما في حال النصب فإن البناء يتم لخفة الفتحة ؛ فترجع إلى الامتناع من الصرح لكمال البناء ،

(١) في الاصل « بقاض وغاز وداع » زدنا الياء لانها في الامثلة موضع الشاهد .

كقولك في الخفض والرفع : هؤلاء جوارٍ وغواشٍ ، ومررت بجوارٍ وغواشٍ ؛
وفي النصب : رأيت جوارِيَّ وغواشِيَّ وقواضيَّ ، لا تصرفه . وكذلك لو
سميت امرأة ورجلاً بقاضٍ وغازٍ وما أشبه ذلك ، لثوته في حال الرفع
والخفض ، ومنعته من التنوين في حال النصب إذا كان إسماً لامرأة ، وثوته إن
كان لمذكر . وهذا يدل على أن التنوين عوضٌ من نقصان البناء ، وأن هذا التنوين
مخالف للتنوين الذي يلزم الاسماء السالمة .

القول الثاني من قول سيبويه في امتناع الاسماء من الجزم .

قال في آخر الرسالة : واعلم أن الأفعال أثقل من الأسماء ، لأن الأسماء هي
ب/ ٢٧ الأولى / وهي أشد تمكناً ، فمن ثم لم يلحقها تنوين ولحقها الجزم والسكون (١) ،
هذا لفظ سيبويه . وقد صرح بهذا القول إن الأسماء أخف من الأفعال ، وإن
الأفعال أثقل من الأسماء ، وإنه إنما جزم الأفعال لثقلها ، فخفضت بالجزم لأنه
حذف . وإن الأسماء كانت أحمل للخفض لثقلها ليعتدل الكلام بتخفيف الثقل
ولإلزام بعض الثقل للتحفيف ، وهذا هو قول الفراء .

وأكثر الكوفيين قالوا : لم تخفض الأفعال لثقلها ، ولم تجزم الأسماء لثقلها
ليعتدل الكلام . وقد مضى القول في الدلالة على ثقل الفعل وخفة الاسم .

وقال جماعة من الكوفيين والبصريين : لم تجزم الأسماء لاستحالة دخول
الأدوات الجازمة عليها ، لأن الأدوات الجازمة إنما هي للنفي أو للنهي أو الجزاء
أو الأمر ، وما أشبه ذلك ، ودخولها على الأسماء غير سائغ ، فامتنعت من الجزم
لذلك .

(١) عد الى الحاشية (١) ص ٩٧ .

باب ذكر علّة امتناع الأفعال من الخفض

قال سيبويه : « ليس في الأفعال المضارعة جرّ ، كما أنه ليس في الأسماء جزم ، لأن المجرور داخل في المضاف إليه معاقب للتونين ، وليس ذلك في هذه الأفعال ^(١) » هذا الذي يعتمد عليه الناس في امتناع الأفعال من الخفض . وكل علة تذكر بعد هذا في امتناع الأفعال من الخفض ، فإنما هي شرح هذه العلة وإيضاحها أو مولدة منها ، وليس فيها زيادة معنى بوجه ولا سبب ، لاني مذهب البصريين ولا الكوفيين ، وإنما أشرح لك قول سيبويه أولاً ، ثم أعود لذكر باقي العلل إن شاء الله .

أما قوله : ليس في الأفعال المضارعة جرّ ، فالمضارعة عنده هي الأفعال المستقبلّة التي في أوائلها الزوائد الأربع ؛ الهمزة والياء والنون والتاء ، كقولك : أقوم ويقوم ونقوم وتقوم والمضارعة المشابهة ، وإنما سمّاها مضارعة ، لأنها ضارعت الأسماء التي أشبهتها ، ولذلك أعربها . وإنما قال : وليس في الأفعال المضارعة جرّ فقصدتها دون سائر الأفعال ، لأن كل فعل سوى المضارع عنده مبنى غير معرّب ، وإنما كان في ذكر الجر ، والجر إعراب ، ولما كان إعراباً / وكانت الأفعال ٢٨ / أ سوى المضارعة مبنية غير مستحقة للإعراب ، للعلل التي قد ذكرتها لك فيما مضى من هذا الكتاب ، سقط السؤال عنها ، السؤال لمّ لم تخفض؟ وبقي السؤال عن الفعل المضارع الذي هو معرب . فكأنه أجاب من سأله فقال له : إذا كان الفعل

(١) «الكتاب» ١: ٣٠٠ . وقال السيرافي في شرح الكتاب « ان سأل سائل فقال : لم لم يكن في الأفعال المضارعة جرّ ؟ فإن في ذلك أجوبة منها ٠٠٠ » ثم أورد خمسة أوجه لذلك وأعقب بذكر علتين أخريين للاخفش في امتناع الفعل من الإضافة . شرح الكتاب ١: الاوراق ٣٨ - ٤٢ . كما أن السيرافي ذكر لم منع سيبويه دخول الجر على الأفعال حيث امتنع دخول الجزم على الأسماء ؟ وكيف صار امتناع دخول الجزم على الأسماء أصلاً لمنع دخول الجر على الأفعال ؟ وما وجه رد أحدهما على الآخر ؟ الشرح ١ : ورقة ٤٢ .

المضارع عندك معرباً، فلم امتنع من الخفض؟ فقال: لأن المجرور داخل في المضاف إليه، معاقب للتونين، وليس ذلك في هذه الأفعال. واختصر الجواب كما ترى. وشرحه أن المجرور مضاف إليه، واقع موقع التنوين، لأنه زيادة في الاسم يقع آخرآ، والأفعال لا يضاف إليها فامتنعت من الخفض^(١) لذلك. وتقريب هذا أن يقال: لم تخفض الأفعال، لأن الخفض لا يكون إلا بالإضافة والإضافة إلى الأفعال مستحيلة فامتنعت من الخفض لذلك.

سؤال على أصحاب سيبويه. يقال لهم: فإذا كان اعتماد صاحبكم، كما زعمتم عنه في امتناع الأفعال من الخفض، هو لأن الإضافة إليها غير سائغة، وأن الخفض لا يكون إلا بالإضافة، فما دليلكم على أن الإضافة إلى الأفعال غير سائغة؟

الجواب: الدليل على أن الإضافة إلى الأفعال غير سائغة هو أن الإضافة في الكلام على ثلاثة أوجه؛ إضافة الشيء إلى مالكة، كقولك: هذه دار زيد وهذا ثوب عبدالله، وإضافة الشيء إلى مستحقه أو الموصل إليه، كقولك: الحمد لله، أي هو مستحقه، والشكر لزيد، ومررت بعبدالله، لأن الباء أوصلت مرورك إلى عبدالله، كما أوصلت اللام الشكر إلى زيد، وكذلك سائر حروف الجر إنما هي صلوات للأفعال إلى مفعوليتها. وإضافة الشيء إلى جنسه، كقولك: هذا ثوب خز، وخاتم حديد، وباب ساج. وما أشبه ذلك. فلما كانت الأفعال لا تملك، لأنها ليست واقعة على مسميات تستحق الملك، لأنها إنما هي عبارة عن حركات الفاعلين في زمان ماضٍ منقوض / أو حاضر أو منتظر، لم تكن إضافة الشيء إليها إضافة ملك. ألا ترى أن قولك: هذا غلام ضرب، أو صاحب يقوم وما أشبه ذلك، وأنت تريد به أن الفعل مستحق (له، لا معنى له)^(٢) فلم تتمكن الإضافة إليها من هذا الوجه، كما أنها لا تملك شيئاً كذلك أيضاً لا تستحقه، لأنه

٢٨/ب

(١) في الاصل « من الاضافة » .

(٢) في الاصل مستحقاً وما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق .

لو جاز أن تستحق جاز أن تملك، فلما لم تستقر على شيء بعينه لم يتميز استحقاقها المستحق . ألا ترى أن كل فعل دال على حدث ومحدثه وزمان ومكان ، لأنه قد علم أن فاعلاً ومفعولاً لا يكونان إلا في مكان . كقولك : قام زيد : فقد دل ذلك القيام على فاعله وعلى الزمان الماضي ، وعلمت أنه لا بد لزيد من مكان فيه فعل القيام ، وإن لم يكن في لفظ الفعل (١) دليل . فإن كان الفعل مع ذلك متعدياً إلى مفعول أو مفعولين أو ثلاثة ، دل على ذلك أجمع . وفيه أيضاً دليل على حال كان فيها الفاعل والمفعول . فإذا كان الفعل واقعاً على هذه الأشياء كلها، ثم أضيف إليه مستحق (٢) أو ما يحق له ملكه ، لم يدبر بأي شيء من هذه الأشياء يتصل ، فلم تجز الإضافة إليه من هذين الوجهين (٣) .

وكذلك ايصال الفعل بحرف الخفض إلى مفعوله ، كقولك : مررت بزيد ، وركبت إلى عبد الله ، غير جائز مثله في الأفعال ، لأن هذه المخفضات مفعولات في الحقيقة كما ترى ، والفعل لا يكون مفعولاً وذلك محال ، ولو جاز أن يكون مفعولاً لكان اسماً لأنه قد مضى القول بأن كل شيء وقع في حيز الفاعل أو المفعول فهو اسم ، في أول الكتاب بما فيه غنى عن الإعادة (٤) .

جواب في امتناع الأفعال من الإضافة إليها . قال أبو الحسن سعيد ابن مسعدة الأخفش : (٥) لم يدخل الأفعال جرّ ، لأنها أدلة ، وليست الأدلة بالشيء الذي تدل عليه . وأما زيد وعمرو وأشباه ذلك ، فهو الشيء بعينه ، وإنما يضاف إلى الشيء بعينه لا إلى ما يدل عليه ، وليس يكون جر في شيء من الكلام إلا بالإضافة (٦) .

(١) في الاصل « في لفظ الفعل فيه دليل » و « فيه » زائدة أو لعلها بمعنى « عليه » .

(٢) في الاصل « مستحقاً » .

(٣) أوجز الزجاجي ذلك فقال في الجمل « لم تخفض الافعال لان الخفض لا يكون الا بالاضافة ولا معنى للاضافة الى الافعال لانها لا تملك شيئاً ولا تستحقه » . الجمل : ١٨ .

(٤) ذكر ذلك في صفحة ٤٨ .

(٥) ترجمنا له في ص ٤٩ .

(٦) ذكر السيرافي قول الاخفش هذا واضحا في شرح الكتاب ١ : ٣٩ .

تلخيص قول الأخفش هذا وشرحه :

أ/٢٩

أما قوله : ليس الجر في الأفعال لأنها أدلّة ، فهو / كما ذكرناه أولاً من أن الأفعال عبارة عن حركات الفاعلين ، فهي أدلة على فاعليها ، وفي حروفها دليل على الحدث ، وفي أبنيتها دليل على الزمان ، وفي المتعدّي منها دليل على المفعول . وأما قوله : وليست الأدلة بالشيء الذي تدل عليه ، فكلام غير مشكل ولا محتاج إلى تفسير ، لأن كل ذي عقل يعلم (أن ^(١)) الدليل على الشيء غيره . وأما قوله : وأما زيد وعمرو وأشباه ذلك فهو الشيء بعينه ، فكلام ملبس مشكل خارج مخرج المُلغَز من الكلام ، لأنه لا اتصال له بما ذكره ، وأيّ اتصال بين قوله : وليست الأدلة بالشيء الذي تدل عليه ، وبين قوله : وأما زيد وعمرو وأشباه ذلك فهو الشيء بعينه ؟ وإنما غرضه أن يخبر أن الإضافة إلى الفعل غير ممكنة لأنه دليل على الفاعل والمفعول والحدث ، والإضافة إنما تكون إلى الفاعل أو المفعول ^(٢) أو الحدث ، ولا تجوز الإضافة إلى ما دلّ على هذه الأشياء وهو الفعل ، لأن الدليل على الشيء غيره ، ولا تجوز الإضافة إلى الدليل والمراد به المدلول عليه . وأما قوله : وليس جر في شيء من الكلام إلا بالإضافة ، فهو قول سيبويه الذي قدمته لك أولاً وذكرت لك أن كل علة يحتاج بها في امتناع الفعل من الخفض راجعة إليه موضحة له .

جواب ثالث في امتناع الأفعال من الإضافة إليها أو خفضها . وهو ^(٣) للأخفش أيضاً . قال الأخفش : لا يدخل الأفعال الجرّ ، لأنه لا يضاف إلى الفعل ، والخفض لا يكون إلا بالإضافة . ولو أضيف إلى الفعل ، والفعل لا يتخلو من فاعل . وجب أن يقوم الفعل وفاعله مقام التنوين ، لأن المضاف إليه يقوم

(١) في الاصل بياض والزيادة للسباق .

(٢) في الاصل « أو الفعل » والصواب ما ذكرت .

(٣) في الاصل « وهي » .

مقام التنوين ، وهو زيادة في المضاف كما أن التنوين زيادة ، فلم يجوز أن نقيم الفعل والفاعل مقام التنوين لأن الاسم لا يحتمل زيادتين ، ولم يبلغ من قلة التنوين وهو واحد أن يقوم (١) مقامه ، كما لم يحتمل الاسم الألف واللام مع التنوين (٢) وهذه علّة جيدة .

سؤال على المعتمدين على هذا الجواب (٣) .

يقال لهم : فإذا كان اعتلالكم في امتناع الأفعال من الإضافة إليها ، هو أنه لم يمكن أن يقوم الفعل والفاعل مقام التنوين لأن المضاف إليه واقع مقام التنوين لم يجوز أن يقوم اثنان مقام التنوين ، كما لم يحتمل الاسم الألف واللام مع التنوين فإن هذا يفسد عليكم باجتماع الألف واللام ونون الاثنتين والجميع ، والألف واللام زائدان والنون زائدة ومؤدية معنى التنوين ، فقد جمعتم بين زيادتين فررتن من اجتماع مثلهما ، وجعلتموه الدليل على امتناع الأفعال من الإضافة إليها ، فقد بطل ما ذهبتم إليه من ذلك ، وبان فساده .

الجواب في ذلك أن يقال : إنما كرهنا الجمع بين زيادتين تجريان مجرى واحداً في تمكين الاسم ، وهما الألف واللام والتنوين ، وذلك أن الألف واللام يمكنان الاسم فهما دليل تمكنه . وكذلك التنوين دليل تمكن الاسم . ألا ترى أن ما لا يتمكن لا يدخله التنوين ، وما دخلته الألف واللام تمكن ، والنون ليست كذلك ، لأنها ليست دليل تمكن ، فجاز الجمع بينهما لذلك ولم يجوز الجمع بين التنوين والألف واللام ، لان في كل منهما كفاية عن صاحبه في التمكن .

جواب آخر : وهو أن النون عوض من حركة وتنوين ، وكان حكمهما جميعاً أن يثبتا في كل حال ، فحذف التنوين في الواحد لثلاث يشبه النون الاصلية ، فلما صار الى الثنية والجمع ورجع الى أصله ثبتت لانه لا يلتبس بشيء .

(١) في الاصل « أن يقوم » .

(٢) ذكر السيرافي ذلك في شرح الكتاب ١: ٣٩٠ .

(٣) في الاصل « هذا السؤال » .

سؤال على أصحاب سيبويه في امتناع الأفعال من الخفض (١) .

وهو ان يقال لهم : إذا كان اعتمادكم في امتناع الأفعال من الخفض ، إنما هو لاستحالة الإضافة إليها ، فيجب على هذا ألا تضاف الأفعال البتة ، لان الشيء المحال لا يصير غير محال ، ما دام على الجهة التي وجدَ فيها مجالاً من غير تغيير حال ولا بناء . وإذا أريناكم أشياء قد أضيفت إليها الأفعال بان فساد ما احتججتم به وبطل ما ذهبتم إليه / وقد رأينا العرب قد أضافت أشياء إلى الأفعال ؛ منها أنها أضافت إليها أسماء الزمان كقولهم : هذا يوم يقوم زيد ، وهذه ساعة يذهب بكر ، وقصدتكم يوم خرج (٢) عبدالله ، وأقصدك يوم يقوم أخوك ، وكذلك ما أشبهه . وقد أضافت إليها قولهم (ذو) ، وذلك قولهم : اذهب بذئ تسلم ، واذهبا بذئ تسلمان ، واذهبوا بذئ تسلمون ، وكذلك يقولون للمرأة : اذهبي بذئ تسلمين ، واذهبا بسذئ تسلمان ، واذهبن بسذئ تسلمن . وأضافوا إلى الأفعال (آية) في قولهم :

أ/٣٠

ألا أبلغُ لديكَ بني تميمٍ بآية ما تُحبّونَ الطعاما (٣)

(١) فصل السيرافي هذا البحث في شرح الكتاب ١: ٤٢ - ٤٢ .
(٢) في الاصل « خروج » والصواب ما ذكرت لان فعليتها هي موضع الشاهد .

(٣) هذا البيت ليزيد بن عمرو الكلابي المعروف بابن الصعق . وهو من شواهد « الكتاب » قال سيبويه في باب « ما يضاف الى الأفعال من الاسماء » :
ومنه أيضا آية . قال :

بآية تُقدون الخيلُ شعثاً كأنَّ علي سناكبها مدا
وقال يزيد بن عمرو الصعق :
الا من مبلغٍ عني تميما بآية ما تحبون الطعاما

ف (ما) لغو . « الكتاب ١: ٤٦٠ » وتجد في حاشية الصفحتين ٤٦٠ و٤٦١ شرحاً للبيتين ، ومكان الشاهد فيهما . وفصل السيرافي قول سيبويه هذا في شرح الكتاب ج ٤ ورقة ١٥ و١٦ و١٧ ، وتجد بيت ابن الصعق في طبقات الشعراء (٣٩ طبعة ليدن) والكامل ١: ٨٨ .

وقال آخر، وهو من القصيدة : (١)

بآية تُقَدِّمُون الخيلَ زوراً كأنَّ على سَنَابِكِهَا مُدَامَا
فقد بان بإضافتهم هذه الأشياء إلى الأفعال بطلان ما ذكرتم .

الجواب في ذلك ان يقال : إن الشيء إذا اطرد عليه باب، فصحَّ في القياس وقام في المعقول ، ثم اعترض عليه شيء شاذ نزر قليل، لعلته تلحقه، لم يكن ذلك مُبطلًا للأصل، والمتفق عليه في القياس المطرد، ومثل هذا موجود في جميع العلوم حتى في علوم الشرائع والديانات. فليس إضافة هذه الأشياء إلى الأفعال — لوصح أنها على ما ذهبتم إليه ، مع قلتها وكثرة ما امتنع من ذلك — بمفسد لما ذكرناه . فكيف ولكل شيء مما ذكرتموه سبب وعلة ليس على الظاهر الذي توهمتموه . فن ذلك : أن إضافة أسماء الزمان إلى الأفعال في قولهم : هذا يوم يقوم زيد ، وما أشبه ذلك ، إنما جازت لأن الأفعال مع فاعليها جمل ، ومن شروط أسماء الزمان أن تضاف إلى الجمل إذا كانت موضحة لها ، كقولك : قصدتك يوم أخوك منطلق ، وزرتك يوم الحجّاح أمير . وكذلك ما أشبهه . أضيفت إلى الأفعال وفاعليها ، لدخولها في باب الجمل ، كما أضيفت إلى سائر الجمل .

جواب آخر في إضافة أسماء الزمان إلى الأفعال / وهو أن الغرض إنما هو المصادر ، فكأن المضاف إليه في الحقيقة المصدر ، لأن تأويل قولك : هذا يوم يقوم زيد ، هذا يوم قيام زيد ، وليس هذا المعنى موجوداً في إضافة سائر الأسماء إليها ، لأنه لا فائدة تقع فيه . ألا ترى أنك لو قلت ؛ هذا غلام يركب زيد، وأنت

(١) لعله يريد : وقال في آخر أي في بيت آخر . ومعنى ذلك أن البيت الثاني من قصيدة ابن الصعق أيضا . ويؤيد هذا قول الدماميني : ان ضمير الغيبة في « يقدمون » يعود على بنى تميم المذكورين في البيت السابق . على أن صاحب الخزانة ينكر قول الدماميني ويزعم أن البيت الثاني للاعشى كما في كتاب سيبويه (الخزانة ٣ : ١٣٦) والحق أن نسخة (الكتاب) التي بين أيدينا لا تنسب البيت الثاني لاحد ، كما اني لم أجده في ديوان الاعشى ميمون بن قيس ، ولا في سائر شعر الاعشيين .

تريد هذا غلام ركوب زيد ، كان محالاً ، فاستجيز ذلك في أسماء الزمان بحسن لإضافتهم إلى المصادر ، والأفعال دالة على مصادرهما ، فكأن الإضافة إلى المصادر في الحقيقة .

جواب ثالث في إضافة أسماء الزمان إلى الأفعال . وهو أن الفعل بلفظه دال على الزمان ، والمصدر دال على الفاعل والمفعول لا بلفظه (١) ، وكان الزمان بعض الفعل ، فإضافة الزمان إلى الفعل كإضافة بعض إلى بعض .
جواب رابع في إضافة الزمان إلى الفعل .

قال الأخفش : إنما أضيفت أسماء الزمان إلى الأفعال لان الازمنة كلها ظروف للأفعال والمصادر ، والظروف أضعف الاسماء فقوّها بالإضافة إلى الافعال . وهذا قول ضعيف ، لان الافعال أضعف من الاسماء ، لان الضعف والقوة في العربية إنما هما في التمكّن (٢) والامتناع منه ، والاسماء أمكن من الافعال فلن تقوّيها إضافتها إلى الأفعال . ومع ذلك فيقال له : فهلاًّ قوّوا كل ضعيف من الاسماء (بإضافته (٣)) إلى الافعال ليقوّيها ذلك . وإلاّ فما الفرق ؟ يقال له ايضاً : فإن كانت إضافتها إلى الافعال تقوّيها ، فما بالها تُبني إذا اضيفت إليها كما قال الشاعر :

على حين عانتب المشيب على الصبى وقلت ألمّا تصح والشيب وازع (٤)
الا ترى ان اكثر الرواة على فتح حين ها هنا بناء لها لإضافتها إلى الفعل .

(١) في الاصل « ٠٠ والمصدر والمفعول دال على الفاعل لا بلفظه ٠٠ »

(٢) في الاصل « المتمكن »

(٣) زيادة للسياق

(٤) هذا البيت للنابغة الذبياني من قصيدة تجدها بتمامها في ديوانه ص ٤٢ والرواية فيه : فقلت . وانظر رغبة الأمل ٢: ٢٢٢ والبيت من شواهد المبرد رواه وعقب عليه بقوله : ان شئت فتحت حين ، وان شئت خفضت لانه مضاف الى فعل غير متمكن «رغبة الأمل من كتاب الكامل ٢: ٢٢٠» أما سيبويه

وقد أعربها بعضهم إلا أنه وإن كانت الإضافة للأفعال إنما هي لتقويتها (١) فقد كان يجب ألاّ تبني في حال إضافتها إليها . والقول في حين وبنائها وإعرابها يذكر في باب المبنيات إن شاء الله .

الجواب عن إضافة آية إلى الفعل وذكر علل ذلك .

وأما آية فهي عندي لاتجوز إضافتها / إلى الفعل . ولم يأت في ذلك ما يحتاج به ، ولا تصح في القياس إضافتها إليه . وقد احتج بعض أصحابنا لذلك بعلّة أنا أقدم ذكرها وابتين فسادها ، ثم أذكر ما عندي في ذلك إن شاء الله . زعم بعض أصحابنا (٢) (إنما جاز إضافة آية إلى الفعل لأنها بمنزلة الوقت ، وذلك ان الاوقات إنما تذكر ليدلّ بها على ترتيب الحوادث الكائنة فيها ؛ في تقديم ما يتقدم منها ، وتأخير ما يتأخر ، وما يقترن وجوده بوجود غيره . والمقدار الذي (٣) بين وجود المتقدم منها والمتأخر ، فصار ذكر الوقت علماً لما وقع او يقع منها وما يقترن بغيره . الا ترى أنك إذا قلت : إذا اذن المؤذن فائتي ، فقد جعلت أذان المؤذن وقتاً لإتيانه وعلماً له . كما انك إذا قلت : إذا كان يوم كذا وكذا فائتي . فقد جعلت ذلك اليوم وقتاً لإتيانه وعلامة متى وجدها لزمه امثال امرك عند كونها . وكذلك إذا قال : لا افعل ذلك بأية يقوم . فقد جعل يقوم وقتاً لما يريد فصح إضافة العلامة إلى الفعل ، كما يضاف إليه الوقت ، لانها في القصد يؤولان إلى شيء واحد).

← فقال « كأنه جعل حين عاتبت اسما واحدا » الكتاب ١: ٣٦٩ ، وشرح الشنتمري معنى البيت والشاهد الذي فيه في حاشية الكتاب . وفصل السيرافي القول فيه في شرح الكتاب ١: ٤٨ . وفصل علّة البناء حين الاضافة الى غير المتمكن في ١: ١٢٥ من الشرح . والشاهد في كتاب « شرح الأبيات المشكّلة الاعراب » : ١٨٩ . والمغني ٢: ٥١٧ .

(١) في الاصل : « انما هو ليقويتها » .

(٢) يعني السيرافي . وأنت تجد هذا الكلام الذي بين قوسين نفسه

في شرح كتاب سيبويه ١ : ورقة ٤١ .

(٣) في الاصل « التي » .

شرح فساد هذا القول . أما قوله : إن الاوقات إنما تذكر ليُبدلَ بها على ترتيب كون الحوادث في تقديم المتقدم منها وتأخير المتأخر والمقدار الذي بينهما واقتران ما يقترن وجوده بغيره ، فكلامه صحيح لا مطعن عليه . واما تشبيهه ذلك بآية فغالطة ، لانه إذا قال : إذا اذّن المؤذن فائتني ، فوقت الإتيان غير وقت الاذان ، وإن كان علماً له ، يستدل (به) ^(١) على لزوم الإتيان له . وإذا قال : بآية يقوم ، فقد زعم انه جعل يقوم وقتاً لما يريد ، وهذا غلط ، لان الفعل لا يكون وقتاً بل يحتاج إلى وقت فيكون فيه . وهذا بين الإحالة . ومع ذلك فإنك إذا قلت له : ^(٢) افعل ذلك بآية يقوم ، فإنك تأمره بفعل يحدثه ، وتذكره ^(٣) ب / ٣١ علامة بينك وبينه ، وليس مثل قولك هذا يوم يقوم زيد . / وأما قوله : وجاز إضافة الآية إلى الفعل كإضافة الوقت لانهما يؤولان إلى شيء واحد . فليس بشيء لان الوقت يضاف إلى الفعل طلباً للمصدر . فناب الفعل عن مصدره بدلالته عليه . والآية عنده - كما زعم - تضاف إلى الفعل والمعنى ان الفعل وقت لما أراده . وهذا مقلوب غير متسق ولا منتظم .

واما القول الصحيح في آية عندي فهو أن إضافتها إلى الفعل غير جائزة ولا صحيحة ، لانه ليست بوقت فتدخل في جملة أسماء الزمان ، وقد مضى ذكر عللها . ولاهي متعلقة من الفعل بشيء . لا فرق بين آية وسائر الاسماء في ذلك .
(فأما قول ^(٤) الشاعر :

ألا أبلغُ لديكَ بني تميمِ
بآية ما تحبّونَ الطّعاما

فليست هذه إضافة صحيحة إلى الفعل ، وإنما هي إلى المصدر ، لأن (ما) بتأويل المصدر ، فكأنه قال بآية محبتهم الطعام . كما تقول أعجبني ما صنعت

-
- (١) زيادة ليست في الاصل .
 - (٢) في الاصل « لو فعل » .
 - (٣) تذكره أو تذكر له .
 - (٤) في الاصل « فأقول » .

أَيُّ أَعْجَبَنِي صَنَعَكَ (و) ^(١) كَمَا تَقُولُ : مَا أَحْسَنَ مَا كَانَ زَيْدٌ ، وَأَنْتَ تَرِيدُ مَا أَحْسَنَ كُونَ زَيْدٌ . وَهَذَا بَيِّنٌ وَاضِحٌ .
وَأَمَّا قَوْلُهُ :

بِأَيَّةٍ تُتَقَدَّمُونَ الْخَلِيلَ زُورًا كَأَنَّ عَلَى سَنَابِكِهَا مُدَامًا
فَإِنَّهُ أَرَادَ بِأَيَّةٍ مَا تُتَقَدَّمُونَ الْخَلِيلَ لِيَجْعَلَ (مَا) مَعَ الْفِعْلِ بِتَأْوِيلِ الْمَصْدَرِ كَمَا
ذَكَرْنَا فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ، فَاضْطُرَّ فَحَذَفَهَا مِنْ لَفْظِهِ ضَرُورَةً وَهُوَ يَنْوِيهَا . كَمَا قَالَ :

وَكَحَلَّ الْعَيْنَيْنِ بِالْعَوَاوِيرِ ^(٢)

فَلَمْ يَهْمِزِ الْوَاوَ وَقَدِ وَقَعَتْ طَرَفًا بَعْدَ أَلْفٍ ، لِأَنَّ تَقْدِيرَهُ بِالْعَوَاوِيرِ . فَلِذَا
قَدَّرَهَا كَذَلِكَ بَعَدَتْ مِنَ الطَّرْفِ ، وَلَا يَجُوزُ هَمْزُهَا ، كَمَا لَمْ تَهْمِزْ فِي قَوْلِهِمْ طَوَاوِيسَ
وَنَوَاوِيسَ ^(٣) ، وَكَمَا قَرَأَ بَعْضُ الْقُرَّاءِ « لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ » ^(٤) بِالنَّصْبِ فِي
بَيْنَ لِتَقْدِيرِ مَا . فَإِذَا كَانَ مِثْلَ هَذَا - أَعْنِي إِضْمَارَ مَا - قَدْ جَازَ فِي الْقُرْآنِ ، فَهُوَ
فِي الشَّعْرِ أَجْوَزٌ . فَيَكُونُ قَوْلُهُ بِأَيَّةٍ تُتَقَدَّمُونَ تَقْدِيرَهُ بِأَيَّةٍ مَا تُتَقَدَّمُونَ .

وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي إِضَافَةِ ذِي إِلَى الْفِعْلِ فِي قَوْلِهِمْ : أَذْهَبُ بِذِي تَسْلَمَ / فَإِنَّ هَذِهِ

(١) زيادة للسياق .

(٢) من رجز لجندل بن مثنى الطهوي . استشهد به ابن جني في الخصائص ١: ١٩٥ وجاء في مادة «عور» من لسان العرب قوله : والعوار - بالتشديد - كالعائر والجمع عواوير القذى في العين . يقال بعينه عوار أي قذى . فأما قوله وكحل العينين بالعوار فإنما حذف الياء للضرورة ولذلك لم يهمز لان الياء في نية الثبات ، فكما كان لا يهمزها والياء ثابتة كذلك لم يهمزها والياء في نية الثبات .

(٣) جاء في مادة «نوس» من تاج العروس : الناووس مقابر النصارى ، ان كان عربياً فهو فاعول والجمع نواويس .

(٤) تتمتها (و ضلَّ عنكم ما كنتم ترعُمون) سورة الأنعام « الآية ٩٤ »

وقد فصل القول في هذه الآية ابن جني في الخصائص ٢: ٣٧٠ وقرأها نافع وحفص والكسائي بالنصب على الظرف على معنى لقد تقطع وصلكم بينكم . . . وقرأ الباقون « ابن كثير وعاصم وحمة ويعقوب الحضرمي » بينكم بالرفع على أنه اسم غير ظرف فأسند الفعل إليه فرفع . . . تفسير القرطبي ٧: ٤٣ .

(الإيضاح ٩)

اللفظة جرت في كلامهم كالمثَل . قال الأصمعي (١) : تقول العرب : اذهب بذني تسلّم . والمعنى اذهب والله يسلمك ، دعاء له بالسّلامة . واذهباً بذني تسلمان ، والمعنى اذهبوا والله يسلمكما . واذهبوا بذني تسلمون ، والمعنى والله يسلمكم . فإذا كانت هذه الكلمة جارية مجرى المثل ، فإن الأمثال يحتمل فيها ما لا يحتمل في غيرها وتزال كثيراً عن القياس . كذلك مجراها في كلامهم . واحتمل ذلك فيها لقلّة دورها في الكلام . ولذلك تقديران في العربية صحيحان في القياس ؛ أحدهما أن تكون (ذو) هو الموضوع لذات الشيء ، كما تقول : مررت برجل ذي مال ، فذني هو الرجل نفسه وأضفته إلى المال . فإذا قلت : اذهب بذني تسلّم ، فذني نعت قام مقام المنعوت ، كما تقول : مررت بذني مال ، وأنت تريد برجل ذي مال ، فيكون التقدير اذهب بيوم ذي تسلّم أو بوقت ذي تسلّم ، أي ذي تسلمه ، فذو (هو) (٢) اليوم والوقت ، فلذلك جاز إضافته إلى الفعل كما يضاف الزمان ، وقد مضى القول في هذا . ويؤول التأويل إلى أن الإضافة في الحقيقة إلى المصدر ، فكأنه قيل : اذهب بسلامتك . والوجه الآخر أن تكون (ذو) بمنزلة الذي ، وهي لغة للعرب ، فكأنه قيل : اذهب بالذي تسلمه ، فالهاء مقدرّة في المعنى محذوفة من اللفظ ، وهو مصدر تقديره اذهب بالسّلامة التي تسلمها ، وقال الذي وهو يريد السّلامة ، لأنه مؤنث غير حقيقي فتذكيره جائز ، فذهب (٣) بالسّلامة إلى السلام (٤) كما قال عز وجل (فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ) (٥) والذي قد تكون مصدراً كما قال عز وجل

(١) عبد الملك بن قريظ وكان من أروى الناس للرجز وأوثقهم في اللغة . مات سنة ٢١٦ ترجمته في طبقات الزبيدي : ١٨٧ وبقية الوعاة : ٣١٣ .

(٢) الاصل « فذوا اليوم » .

(٣) في الاصل « فنذهب » .

(٤) فصل السيرافي ذلك في شرح الكتاب ١ : ٤٢٠ .

(٥) تتمتها (فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله . ومن عاد فأولئك

أصحاب النار هم فيها خالدون) سورة البقرة : ٢٧٥ .

(وَخُضِّتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا)^(١) تقديره وخضتم كخوضهم . وقد مضى هذا في ذكر الأصول وشرحها ، وإنما هذا كتاب علل ومسائل ، وسنذكر من مثل هذه المسائل في آخر الكتاب ، ما تزداد به بما ذكرته لك بصيرة إن شاء الله .

وقال آخرون : لم تجز الإضافة إلى الأفعال ، لأن من شأن الإضافة تعريف المضاف وتقريبه من المعرفة بأدنى اختصاص توجه له . والأفعال لا / تعريف ٣٢/ب فيها ولا اختصاص ، لأنها غير واقعة على شيء بعينه ، إنما هي عبارة عن حركات الفاعلين في زمان ماض أو حاضر أو منتظر ، فهي تدل على فاعل ومفعول ومصدر .

وظرف . ويتصل بذلك الحال والمكان ، والمضاف إليها لا يدري بأي شيء من هذه الأشياء يتعلق . ألا ترى أن المنكور قد يُعرف في بعض الأحوال فيتعرف ، والأفعال نفسها لا يمكن تعريفها ، فكان تعريف ما يضاف إليها أبعد . سؤال على أصحاب هذه المقالة . يقال لهم : أولاً ما دليلكم على أن الأفعال كلها نكرات ؟ الجواب أن يقولوا : الدليل على ذلك اجتماع النحويين كلهم من البصريين والكوفيين على أن الأفعال نكرات . ولم يكونوا ليجمعوا على الخطأ ولا يعينه واحد منهم^(٢) مع كثرة علماء الفريقين ، وفحصهم عن دقائق النحو وغوامض المسائل . وإذا كان هذا متفقاً عليه عندنا وعندكم ، فالسؤال عنا فيه ساقط إذ كنا فيه سواء .

جواب آخر ، وهو جواب الجماعة . قال النحويون كلهم : الدليل على أن الأفعال نكرات أنها لا تنفك من الفاعلين . والفعل والفاعل جملة يستغني بها وتقع بها الفائدة . والجل نكرات كلها ، لأنها لو كانت معارف لم تقع بها فائدة

(١) الآية (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضِّتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) سورة التوبة : ٩٦ .

(٢) في الاصل « منهم على ذلك »

لأنها قد كان يعرفها المخاطب فلا تقع له بها فائدة . فلما كانت الجمل مستفادة علم أنها نكرات ، ولذلك لم تجز الكناية عن الجمل ، لأن المكاني معارف والجمل نكرات ، فلذلك لم تضم . وكذلك الأفعال لما كانت مع الفاعلين جملاً ، كانت نكرات ولم يجز إضمارها .

سؤال آخر على أصحاب هذه المقالة . يقال لهم : فإذا كانت الأفعال نكرات كما ذكرتم ، فهلاً عرفتموها كما تعرف النكرات ، ثم أضفتم إليها كما نفعل ذلك بسائر النكرات ، إذا احتيج إلى تعريفها عرفت ؟

الجواب ، وهو جواب الجماعة لا ينفرد به قوم دون قوم . وهو أن تعريف الأفعال محال ، لأنها لا تضاف ، كما أنه لا يضاف إليها . ومنها أن تعريفها بالألف واللام من دلائل / الأسماء التي تختص بها . لأنها يشير بها المتكلم إلى عهد بينه وبين من يخاطبه في الذي يدخل عليه الألف واللام . والأفعال غير محصورة على شيء واحد كما ذكرنا فتعرف ذلك الشيء . ومنها أنها كما ذكرنا جملة ، ودخول الألف واللام على الجمل محال . ومنها أنها لا تتعرف بالموضع ، إلا أن يسمى بها رجل أو امرأة ، فإذا سمي بها رجعت إلى أحكام الأسماء ، وجاز فيها جميع ما يجوز في الأسماء .

٣٣ / أ

سؤال على أصحاب هذا الجواب . يقال لهم : فقد علمنا أن الأفعال لا يضاف إليها بما تقدم من الاحتجاج لذلك . فلم لا تجوز إضافتها نفسها ؟؟

الجواب ، يقال : لم تجز إضافة الأفعال ، لأن الفعل لا ينفك من فاعله كما ذكرنا مضمراً أو مظهراً . والفعل والفاعل جملة بمنزلة المبتدأ وخبره ، فكما لا تجوز إضافة الجمل ، كذلك لا تجوز إضافة الفعل . ألا ترى أنه غير جائز إضافة قولك زيد منطلق وعبدالله أخوك وهذا زيد ، وكذلك قام محمد وخرج أخوك وكذلك ما أشبهه ؟

انتهى القول في امتناع الأسماء من الجزم ، والأفعال من الخفض .

باب القول في التثنية والجمع

إن قال قائل : أخبرونا عن التثنية ما معناها ؟ قلنا له : هو (١) ضم اسم إلى اسم مثله في اللفظ . فيُختصر ذلك بأن يقتصر على لفظ أحدهما ، إذ كان لا فرق بينه وبين الآخر . ويؤتى بعلم التثنية آخرأ ، فيعلم بذلك أنها قد اجتمعا وصارا بمنزلة شيء واحد ، إلا أن الإخبار عنها يقع على المعنى ، وذلك قولك : رجل ورجل ، ثم تقول : رجلان . و غلام و غلام ، ثم تقول : غلامان . وزيد وزيد ، ثم تقول : الزيدان . فيكون ذلك أخصر من تكرير الاسم ، ولذلك لم تجز تثنية (٢) اسمين مختلفي اللفظ ، كقولنا ، زيد ، وبكر ، وعمرو ، ومحمد ، وجعفر ، وما أشبه ذلك . (٣)

فإن قال : أفكذلك تقولون في الجمع إنه ضم ثلاثة أشياء متفقة في اللفظ وإلحاق علم الجمع بواحد منها اختصاراً ، فيدل ذلك على الثلاثة ، كما دل في التثنية على ٣٣ ب / شيئين ؟ / قلنا : ليس كذلك ، لأن الاثنين لا يختلف معنى التثنية فيها ، لأنه لا يكون اثنان أكثر من اثنين عدداً . والجمع يختلف في الكمية والأعداد في قلتها وكثرتها ، كما اختلفت الآحاد في أشخاصها وأبنيته . فاختلفت أبنية الجموع لاختلاف مقاديرها ، وأنواعها ، وأجناسها ، وأنواعها ، وقلتها ، وكثرتها ، كما اختلفت الآحاد في أبنيته ، وألفاظها ، وأجناسها ، وأنواعها ، وخلقها . وكما لم تنفق الآحاد كذلك لم تنفق الجموع . فمن الجموع ما جاء على حد التثنية ، وهو أن تضم أسماء

(١) أي معناها .

(٢) في الاصل « تكرير » والتثنية هنا أصوب .

(٣) فصل السيرافي الكلام على ذلك في شرح الكتاب ١ : الورقة ١٣٠ وكذلك ابن الانباري في أسرار العربية : ٢١ وزاد عليه قوله « والذي يدل على أن الاصل هو العطف أنهم يفكون التثنية في حال الاضطرار ويعدلون عنها الى التكرار » .

بعضها إلى بعض متفقة الألفاظ ، فيزاد في آخر واحد منها علامة الجمع ، فيعلم أن الجماعة داخلة معه ، كقولنا : الزيدون ، والعمرون ، ودلنا بهذا اللفظ على الجمع بين أسماء ، كلُّ واحد منها على انفراده يقال (له) (١) زيد وعمرو .
وإن قال : أفيكون ذلك محصوراً على الثلاثة ، كما كان قولك : رجالان ، وغلامان ، والزيدان ، والعمران ، محصوراً على اثنين لا غير ؟

قيل له : لا ، لأن الجمع لما كان كما ذكرت لك مختلفاً في القلة والكثرة جعل هذا اللفظ لما بعد الاثنين ، فاشترك فيه القليل والكثير ، وربما اقتصر به على ما دون العشرة ، وربما جاوز ذلك ، وجعل له لفظ آخر يختص بقليل الجمع ، وذلك في المكسر من الجموع ، فجعلت له أمثلة مختصة بالقليل ، وهي أربعة .
أفعلُّ ، وأففعال ، وأفعلَّة ، وفعلَّة ، فأفعلُّ قولك أكَلُبُّ وأفلس . وأفعلُّ قولك أحمال وأعدال . وأفعلَّة كقولك أرغِفَّة ، وأمثلة في جمع مِثال ، وهو الفراش (٢) وفعلَّة قولك صَبِيَّة وفَتِيَّة . فهذه الأمثلة واقعة على أقلِّ العدد ، وهو ما دون العشرة ، وربما وقعت لأكثر العدد ، إلا أن هذا هو الأصل ، وذلك يقع خروجاً عن القياس المطَّرد ، كما ان بناء الكثير ربما شرکه (٣) في القليل .
مشروح في الأصول ، وليس هذا موضعه فنستقصيه .

وكذلك ما جمع بالألف والتاء ، نحو : الهندات ، والطلحات ، والجففات .
المقصود به ان يكون لأقلِّ العدد / وربما وقع لأكثره فيكون ذلك جائزاً (٤) غير مردود . قال حسان

(١) زيادة ليست في الاصل .

(٢) جاء في مادة « مثل » من لسان العرب « والمثال الفراش . . . » .

(٣) شرکه وأشركه وشاركه بمعنى واحد .

(٤) في الاصل « جائز » .

لنا الجفّناتُ الغرّ يلعنَ بالضّحَى وأسِيفُنَا يَقَطْرُنَ من نَجْدَةٍ دَمَا^(١)
وأما قول من أخذ على حسان الجفّنات ، فقال: هو لأقل العدد ، وكان قولك
الجفان أبلغ في المدح لأنها لأكثر العدد . وقلت الغر ولم تقل البيض ، والغرة
اليسير مسن البياض ، وقلت يلعن ولم تقل تلع . وقلت يقطرن ، ولم تقل تسيل
والسيلان أكثر من القطر ، فهو كما قال ، إلا أنه غير مدفوع أن تكون الجفّنات
تقع للكثير ؛ وإن كان موضوع بابها القليل ، لاشتراك الجموع ودخول بعضها على
بعض ، ألا ترى أن فعولا من أبنية أكثر العدد، وقد تقع للقليل كما قال عز وجل
« ثلاثة قُرُوءٍ »^(٢) .

سؤال في التثنية: إن قال قائل: لم يجعل رفع الاثنين بالألف^(٣) ومن المُستفق
عليه أن الألف منها تولد الفتحة التي هي علامة النصب؟ لأن أكثر العلماء على
أن هذه الحركات الثلاث مأخوذة من الواو والياء والألف . فالفتحة من الألف
والضمة من الواو ، والكسرة من الياء . وقد قال بعضهم: الألف من الفتحة ،
والياء من الكسرة، والواو من الضمة^(٤). وعلى المذهبين جميعاً فالألف بالنصب أشكل

(١) البيت لحسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم . وهو
من شواهد الكتاب . قال سيبويه: « وقد يجمعون بالتاء وهم يريدون الكثير »
ثم روى البيت وعلق عليه بقوله « فلم يرد أدنى العدد » وشرحه الشنتمري في
حاشية الكتاب ١٨١:٢ وكذلك استشهد به ابن الانباري في كتابه « أسرار
العربية » ص ١٤٠ فعلق عليه ودافع عن حسان ورد على من خطاه .

(٢) الآية (والمُطَلَّقات يترَبَّصْنَ بأنْفُسِهِنَّ ثلاثة قُرُوءٍ) سورة
البقرة: ٢٢٨ .

(٣) قال سيبويه « اعلم أن التثنية تكون في الرفع بالالف والنون وفي
النصب والجر بالياء والنون . ويكون الحرف الذي تليه الياء والالف مفتوحا » .
الكتاب ٩٢:٢ وانظر أسرار العربية: ٢٢ .

(٤) نقل السيرافي عن الخليل أنه قال « الحركات يزدن على الحروف .
والاصل الحروف والحركات مأخوذة منها والدليل على أن الاصل الحروف أنه
يجوز أن يوجد حرف ولا حركة وهو الحرف الساكن ولا يجوز أن توجد حركة
←

فكيف فضلتها لرفع الاثنيين ، ولا مجانسة بين الضمة والألف ، وعدل بها عن النصب الذي هي به أشكل (١) .

الجواب : إنما جعلت الألف في رفع الاثنيين ، لأن الرفع أول الإعراب ، لأنه سمة الفاعل والمبتدأ وما ضارعهما ، والثنية أول الجموع لأن معناها ضم شيء إلى شيء كما ذكرناه ، والحروف المتولدة عنها الحركات هي هذه التي ذكرت الواو والألف والياء ، فلو جعل رفع الاثنيين بالواو كان يلزم أن يجعل رفع الجمع أيضاً بالواو (٢) ، لأن الباب واحد وما وجب للثنية وجب للجمع . فلو فعل ذلك لم يكن بين الثنية والجمع فرق . فلما بطل أن يجعل / رفع الاثنيين بالواو ، وترك الجمع على حاله بالواو لأنه لم يعرض ما ينقله عنه ، إذ الفرق بين الجمع والثنية قد وقع بالألف ، ولم تجعل ثنية المرفوع (٣) بالياء لأن الياء للخفض ، والخفض في الأسماء ثابت غير منتقل عنها ، والرفع والنصب قد تشرك فيهما الأسماء والأفعال ، فكان الجرّ أغلب على الياء من الأسماء فبقي على بابها . فلم يبق للثنية المرفوع غير الألف فجعلت فيه .

سؤال على هذا الجواب . يقال للمجيب بهذا الجواب : فهلاً جعل رفع الاثنيين بالواو ، ورفع الجميع أيضاً بالواو ، وكان كسر نون الاثنيين وانفتاح ما قبل الواو في قولك : جائي الزيدون والعمران ، يفرق بين الثنية والجمع في قولك : جائي الزيدون

في غير حرف . قال فالفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو يعني أن الفتحة تزداد على الحرف ومخرجها من مخرج الألف وكذلك الكسرة من مخرج الياء والضمة من مخرج الواو . ثم نقل السيرافي قول المخالفين وحججهم . شرح الكتاب ٥ : و ٢٠٨ وكذلك فصل ابن الانباري الحديث عن أوجه الشبه بين الحركات والحروف في أسرار العربية : ١٢٧ كما تحدث ابن جني بالتفصيل عن كون الحركات أبعاض الحروف في سر صناعة الاعراب . ١٩ : ١٠

(١) أوجز سيبويه الكلام على ذلك في الكتاب ١ : ٤ وفصله السيرافي في شرحه ١ : ١٣٠ - ١٣٣ .
(٢) في الاصل « ولأن » .
(٣) في الاصل « الرفع » .

والعمرون ، لانضمام ما قبل الواو في الجمع وانفتاح نونه (١) ؟

الجواب أن يقال : لو كان ما ذكرت من الفرق ثابتاً، لكان لعمرى لازماً . والاختصار عليه واجباً ، ولكنه فرق غير (٢) لازم لسقوطه في بعض الاحوال أما النون فتسقط في الاضافة في قولك : جاءني أخواك ، وأخو زيد ، وبنوك ، وقاضو عبدالله ، فتسقط دلالتها بسقوطها ، وكانت تختلط الثنية والجمع فلا يفرق بينهما وكل دليل أو فارق بين مسألتين كان غير لازم فالاعتماد عليه غير جائز ولا مستقيم . وأما انضمام ما قبل الواو في الجمع فغير لازم أيضاً ؛ لان من الاسماء ما يلزم فتح ما قبل الواو في جمعها . وتلك الاسماء المقصورة كلها إذا جمعت جمع السلامة وجب فتح ما قبل الواو فيها نحو قولك : موسى وعيسى ومثنى ومعلمى ومفتري ومصطفى وما أشبه ذلك . ألا ترى أنك تقول : عيسون ومثنون ومعلون ومصطفون . لانك تأتي بواو الجمع وهي ساكنة ، وقبلها ألف ساكنة ، فتحذف الالف لالتقاء الساكنين ، فيبقى ما قبلها مفتوحاً على حاله . وكذلك في الخفض والنصب يفتح ما قبل الياء ، كقولك . رأيت الموسين والعيسين والمصطفين ، ومررت بالعيسين والموسين والمصطفين . قال الله عز وجل (وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْآخِيَارِ (٣)) . وهذه الاسماء كثيرة جداً . وهذا حكمها في انفتاح ما قبل الواو والياء في الجميع . فلما لم يكن هذا فرقاً ثابتاً في كل حال لم يجوز الاختصار عليه .

سؤال آخر . فإن قال : فهلاً جعلوا الواو للرفع ، وجعلوا الياء للجر ، لأنها على بابها ، وأسقطوا الالف ؟

الجواب أن يقال : ذلك غير جائز لعلتين . إحداهما : أننا لو جعلنا الواو للرفع

(١) أنظر تعليل التفرقة بين المثني والجمع بكسر النون في الاول وفتحها في الثاني دون العكس في أسرار العربية : ٢٥ .

(٢) في الاصل « ولكنه غير فرق ٠٠ »

(٣) سورة (ص) الآية ٤٧ .

لاختلطت التثنية والجمع كما ذكرنا . والآخرى (١) أنا لو فعلنا ذلك كنا قد أسقطنا الألف من دلالات الإعراب ، وهي إحدى (٢) الدعائم الثلاث التي هي أصل تولد الحركات ، وذلك غير جائز .

سؤال آخر . يقال لمن اعتقد هذا المذهب وقام بنصرته . فهلاً (٣) خصت الألف في رفع الجميع ، والواو في تثنية المرفوع . فكان يكون في ذلك فرق بينها لأنك إذا اعتمدت في تصيير الألف في تثنية المرفوع ، والواو في جمعه على كراهية التباس التثنية بالجمع لو قرنت بينهما الواو . وأنت لو جعلت الألف في الجمع والواو في التثنية ، كان بينهما من الفرق مثل ما هو الآن من جعلك الألف للتثنية والواو للجمع ؟

الجواب أن يقال . إنه قد وجب فتح ما قبل حرف التثنية في الجر والنصب في قولك : رأيت الزيدَيْن ومررت بالزيدَيْن (٥) ، فلما كان ذلك كذلك وجب أن تجعل الألف في التثنية لانفتاح ما قبلها ، ولأنه لا يوصل إلى تغيير حركة ما قبل الألف ، كما يمكن تغيير حركة ما قبل الواو والياء .

سؤال آخر . فإن قال : فأنت قد زعمت أن المرفوع أول الكلام ، وتثنيته أول التثنية ، فكيف حملت الألف على فتح ما قبل الياء في الخفض والنصب وهما بعده ؟

الجواب ، إنا نقول : إن المرفوع قبل المنصوب والخفض استحقاقاً ، وعلى

-
- (١) في الأصل « والآخر » .
 - (٢) في الأصل « أحد » .
 - (٣) في الأصل « فلم » .
 - (٤) في الأصل « لان » .

(٥) ذكر ابن الانباري ثلاثة أوجه لتعليل فتح ما قبل ياء التثنية دون الجمع في أسرار العربية : ٢٤ .

ما يوجهه القياس في الترتيب ، ويجوز تسويفه في ترتيب هذه الأشياء ، وتقديم بعضها على بعض في المرتبة والاستحقاق ، لا أن العرب كانت تنطق زماناً بأشياء مرفوعة ، ثم نطقت بعد ذلك بأشياء منصوبة ، ثم نطقت بالمخفوضات . بل تنطق بالكلام كله مختلطاً بعضه / ببعض . ثم رتب العلماء استحقاق بعضه التقديم في ٣٥/ب المرتبة على بعض ، على ما مضى من شرح ذلك . ألا ترى أنا نقول إن الأسماء قبل الأفعال ، وليس كذلك مجراها في النطق ، بل ترى الأفعال والحروف في كثير من الكلام تتقدم على الأسماء في النطق ، وحتى أن كثيراً من الأسماء لا يجوز تقديمها على بعض الحروف ، وقد ذكرنا من مثل هذا فيما مضى من الكتاب ما فيه كفاية (١) ،

وكذلك القول في ثنية المرفوع واستحقاقها في الترتيب التقدم . والكلام كله مختلط بعضه ببعض ، وتابع بعضه بعضاً . فنقول : إن الألف جعلت لثنية المرفوع في التقدير قبل ثنية المنصوب والمخفوض ، وقبل تصيير الواو للجمع . وكان مع ذلك أن تكون الألف في الموضع الذي يفتح فيه ما قبل أو آخر أمثالها أولاً ، إذ كان لا سبيل إلى تغيير حركة ما قبلها .

سؤال آخر . فان قال : فلم يضمَّ النصب إلى الخفض دون أن يضمَّ إلى الرفع (٢) أو دون أن يجعل له سمة ينفرد بها ؟

الجواب ، وهو جواب الجماعة ، قالوا : لم يمكن إفراد المنصوب في الثنية ، لأن الحركات ثلاث ؛ الفتحة والكسرة والضمة ، وليس في الثنية والجمع سمة لحركة تدل على رفع ولا نصب ولا خفض . فكما ، لم يكن للمرفوع في الثنية والجمع حركة تدل على الرفع ، ولا للمخفوض ، لم يكن ذلك في المنصوب أيضاً .

(١) انظر ما سبق في ص ٨٣ .

(٢) ذكر السيرافي أربعة أوجه قيلت في ضم النصب إلى الجر دون الرفع . شرح الكتاب ١ : ١٣٢ وجعلها ابن الأنباري ستة أسباب في أسرار العربية : ٢٣ .

والحروف التي تولدت منها هذه الحركات ثلاثة (١) : الألف وقد انفرد بها
 ثنية المرفوع. والواو وقد حصلت في جمع المرفوع على قياسها. والياء قد حصلت
 للمخفوض على القياس. لأن الكسرة من الياء. فالمخفوض في الثنية والجمع على
 يابه، وقد ذكرنا العلة في وجوب ذلك، فلم يبق للمنصوب إلا ضمه إلى أحدهما،
 وكان ضمه إلى المخفوض أولى لأنهما جميعاً في طريق المفعول به. ألا ترى أن قولك
 ضربت زيداً، ومررت بزيد، سواء في المعنى في أنهما مفعول بهما - إلا أن
 أحدهما أوصلك / الفعل إليه بغير حرف خفض، والآخر وصل إليه بحرف
 أ / ٣٦ خفض - فلما استويا في المعنى استويا في الثنية، فضم المنصوب في الثنية إلى
 الخفض لذلك. ألا ترى أنها استويا في الكناية أيضاً في قولك : رأيت (٢)،
 ومررت به، ورأيتك ومررت بك. وما أشبه ذلك. ومع ذلك إن المفتوح إلى
 المخفوض أقرب منه إلى المرفوع، لأن الضمة أثقل الحركات، والفتحة أخفها
 فهي إلى الكسرة أقرب.

سؤال آخر، إن قال قائل : فهلاً جعل رفع الاثنين بالواو، ورفع الجميع
 بالواو، وخفض الاثنين بالياء، وخفض الجميع بالياء، ونصب الاثنين بالألف.
 ونصب الجميع بالألف. وكان قد جاء كل شيء من هذا على يابه وقياسه ؟
 الجواب أن يقال: لو جعل كذلك لالتبس الاثنان المرفوعان بالجمع المرفوع.
 وقد ذكرنا أن دلالة نون الاثنين والجمع تسقط لسقوطها في حال الإضاعة، وأن
 الاستدلال بانفتاح ما قبل حرف الثنية وانضمام ما قبل حرف الجمع، يسقط في
 جمع المقصورة. وشرحنا ذلك شرحاً وافياً. ومع ذلك فإنه كان يلبس ثنية
 المنصوب أيضاً بجمعه في قولك : رأيت الزيدان في الثنية. ورأيت الزيدان في
 الجمع. لأنه لا سبيل إلى ما قبل الألف. ونون الاثنين والجمع غير ثابتة

(١) في الاصل « ثلاث » .

(٢) في الاصل « رأيت » وزدنا الضمير لانه موضع الشاهد .

كما ذكرت لك . فكان يقع في ذلك الفساد والالتباس من جهتين، فتجنبوه لذلك .

سؤال آخر . فإن قال : فهلا جعلوا رفع الاثنين بالألف ، ورفع الجميع بالواو ونصب الاثنين بالألف، ونصب الجميع بالياء . وجعلوا الخفض مضموماً إلى أحدهما ، فكان يكون في ذلك فرق بين هذه الأشياء واستعمال للأجناس الثلاثة من غير لبس ولا خلل ؟

الجواب أن يقال : إنهم لو فعلوا ذلك لكانوا قد جعلوا الخفض منقولاً عن بابه ، وعلته موسوماً به غيره ، لغير علة لزمته تخرجه عن بابه . والشيء إنما تخرجه عن بابه وتلزمه سمة غيره في بعض / الاحوال علةً تلزمه ، وخوف لبس (١) بين مشتبهين والخفض على بابه لم يعرض في تثنيته ولا جمعه ما يلبسه بغيره ، لأن الكسرة من الياء ، فخفض الاثنين بالياء على بابه ، وخفض الجميع بالياء على بابه . وليس هاهنا مانع منه ، ولا سؤال أيضاً فيما جاء على بابه وقياسه لم (٢) جاء كذلك ؟ وإنما السؤال فيما خرج عن بابه وقياسه ، لم صار كذلك ؟ ومع ذلك فإن الخفض لازم طريقة واحدة ، ووجهاً واحداً لا يزول عنه . وهو خاص للأسماء لازم لها دون غيرها . والرفع والنصب قد ينتقلان إلى الأفعال أيضاً . والذي هو ألزم لا يكون تابعاً . ومع ذلك فإن طريق الخفض كما ذكرنا ضيقة جداً ، لأنه لا يكون إلا من وجه واحد . والرفع والنصب قد يكونان من وجوه ، فلم يقع الاتساع في الخفض كما وقع في الرفع والنصب .

(١) في الأصل « حرف ليس » .

(٢) في الأصل « لما » .

باب القول في الألف والياء والواو في التثنية والجمع

أهي إعراب أم حروف إعراب ؟ (١)

اعلم أن للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال :

قال الكوفيون كلهم ؛ الألف في التثنية ، والواو في الجمع ، والياء في التثنية والجمع ، هي الإعراب نفسه (٢) .

وقال المازني (٣) والمبرد (٤) والأخفش سعيد بن مسعدة (٥) ، هذه الحروف دليل الإعراب ، وليست (٦) بإعراب ولا حروف إعراب (٧) .

وقال الخليل وسيبويه ومن تابعهما : هذه الحروف الإعراب (٨) .

(١) هذه المسألة هي الثالثة من مسائل «الانصاف» لابن الانباري .

(٢) وأيدهم في ذلك قطرب كما في الانصاف .

(٣) ترجمنا له في ص ٧٩ .

(٤) ترجمنا له في ص ٤٠ .

(٥) ترجمنا له في ص ٤٩ .

(٦) في الاصل « وليس » .

(٧) بين السيرافي فساد هذا الرأي في شرح الكتاب ١ : ورقة ١٣٦ .

ورد على مخالفي رأي سيبويه الذي شرحه بقوله « اعلم أن الألف والياء في التثنية ، والواو والياء في الجمع عند جمهور مفسري كتاب سيبويه من حروف الاعراب بمنزلة الدال من زيد والراء من جعفر والألف من قفا وعصا ، واحتجوا في ذلك بحجج ٠٠٠ » ١ : ١٣٤ .

(٨) قال سيبويه « اعلم أنك اذا ثنيت الواحد لحقته زيادتان : الاولى منهما حرف المد واللين وهو حرف الاعراب ٠٠٠ وتكون الزيادة الثانية نونا كأنها عوض لما منع من الحركة والتنوين » الكتاب ١ : ٤ وقال « واذا جمعت على حد التثنية - يعني غير جمع تكسير - لحقتها زيادتان : الاولى منهما حرف المد واللين ، والثانية نون . وحال الاولى في السكون وترك التنوين وأنها حرف الاعراب حال الاولى في التثنية الا أنها او مضموم ما قبلها في الرفع ، وفي الجر والنصب ياء مكسور ما قبلها ونونها مفتوحة فرقوا بينها وبين نون الاثنين . كما أن حرف اللين الذي هو حرف الاعراب مختلف فيهما » الكتاب ١ : ٤ وقال ابن الانباري : فان قيل : فلم كان اعراب التثنية والجمع بالحروف دون الحركات ؟ قيل لان التثنية والجمع فرع على المفرد ، والاعراب بالحروف

ونبدأ بذكر احتجاج مذهب مذهب، وما له وما عليه. ونختم الكتاب بمذهب سيبويه ، وما احتج به له وعليه، لأنه عندنا هو الصواب دون غيره إن شاء الله . سؤال على الكوفيين في ذلك . يقال لهم : من أين لكم أن هذه الحروف هي الإعراب نفسه ، وقد علمت أن من المتفق عليه أن الواحد أول ، وإعرابه هو الأصل الذي يقاس عليه ، ويرد إليه الحكم على ما اختلف فيه ، إذ (١) كان أصلاً لما وقع فيه الاختلاف والمنازعة ، وكان المختلف فيه فرعاً . ولا خلاف بيننا أن الواحد قبل الاثنين / والجمع ، وإعراب الواحد بحركات تعقيب في آخر حرف منه . كقولنا : هذا زيد ومحمد ، ورأيت زيداً ومحمداً ، ومررت بزيد ومحمد ، والإعراب حركات تدلّ على معانٍ تتور الأسماء بعد حصولها بحروفها كلها وأبنيتها ، فمن أين لكم أن الإعراب تغير في التثنية والجمع ، وصار بحروف هي كمال الاسم ؟ ولئن جاز أن تكون الألف في التثنية ، والواو في الجمع ، والياء فيهما الإعراب ليجوز أن تكون الراء من جعفر ، والميم من مسلم ، هي الإعراب نفسه ، لأنها نهاية الاسم كما أن الألف آخر الاسم الدالّ على اثنين ، والواو آخر الاسم الموضوع للجماعة .

الجواب . وإنما نذكر هذه الأجوبة عن الكوفيين ، على حسب ما سمعنا مما يحتج به عنهم من ينصر مذهبهم من المتأخرين ، وعلى حسب ما في كتبهم إلا أن العبارة عن ذلك بغير ألفاظهم ، والمعنى واحد ، لأننا لو تكلفنا حكاية ألفاظهم بأعيانها لكان في نقل ذلك مشقة علينا من غير زيادة في الفائدة ، بل لعل أكثر

←
فرع على الاعراب بالحركات ، فكما أعرب المفرد الذي هو الاصل بالحركات التي هي الاصل ، فكذلك أعرب التثنية والجمع اللذان هما فرع بالحروف التي هي فرع ، فأعطى الفرع الفرع كما أعطى الاصل الاصل . وكانت الالف والواو والياء أولى من غيرها لأنها أشبه الحروف بالحركات ، أسرار العربية : ٢٢ وقد ذكر الاقوال المختلفة في الاعراب والتثنية والجمع وانتهى الى تأييد مذهب سيبويه والاحتجاج له في ص ٢٣ و ٢٤ .

(١) في الاصل « وبرد اليه بحكم على ما اختلف فيه اذا كان ... » .

ألفاظهم لا يفهمها من لم ينظر في كتبهم ، وكثير من ألفاظهم قد هذّبها من نحكي عنه مذهب الكوفيين ، مثل ابن كيسان (١) ، وابن شقير (٢) ، وابن الخياط (٣) ، وابن الأنباري (٤) . فنحن إنما نحكي علل الكوفيين على ألفاظ هؤلاء ومن جرى مجراهم ، مع أنه لا زيادة في المعنى عليهم ، ولا بنحس حظ يجب لهم .

قال الكوفيين : إنا لم نشك في أن إعراب الواحد هو الأصل ، وما بعده فرع عليه ، ولكنه كما اختلفت ألفاظ الاثنين والجمع وأبنيتهما وسائر أحكامها . كذلك جاز اختلاف الإعراب . ولسنا ندفع أيضاً أن يكون الإعراب حركة . إلا أنه قد يكون أيضاً عندنا حرفاً ، لأن الإعراب دليل على المعاني ، ولذلك

احتج إليه ، فإذا دلّ غيره دلّالته وناب منابه ، كانا في ذلك سواء لا فرق بينهما . فنقول إن / الإعراب يكون حركة وحرفاً ؛ فإذا كان حركة لم يوجد إلا

ب/٣٧

في حرف ، لأن الحركة لا تقوم بنفسها . وإذا كان حرفاً قام بنفسه ، وأنتم أيضاً مُقرّون معنا بأن الإعراب قد يكون حرفاً في بعض المواضع في قولكم : يذهبان وتذهبان وتذهبون وما أشبه ذلك . فقد أجمعنا نحن وأنتم على إن الإعراب في هذه الأفعال حرف وهو النون ، وكذلك أيضاً اتفقنا جميعاً على أن الإعراب قد يكون سلب الحركة في الجزم في قولنا : لم يذهب ولم يركب ، فجعلنا لفظ ضد الإعراب إعراباً فاجتمعنا جميعاً عليه . فلم يكن لذلك منكراً أن يكون الإعراب في بعض الأحوال حرفاً إذا دعت الضرورة إليه .

قال البصريون : إن جميع ما ذكرتموه متفق عليه إلا جعلكم الإعراب في التثنية والجمع حروفاً . وما اتفقنا عليه لا منازعة فيه ، وإنما المنازعة فيما وقع فيه

-
- (١) ترجمنا له في ص ٥٠ .
 - (٢) ترجمنا له في ص ٧٩ .
 - (٣) ترجمنا له في ص ٦٣ .
 - (٤) ترجمنا له في ص ٦٠ .

الاختلاف. وليس تشبه هذه الحروف في التثنية والجمع ما شبهتموها به من سلب حركة المجزوم، وتصيير الإعراب في الأفعال المستقبلية حرفاً، في قولنا يذهبان ويذهبون وما أشبه ذلك. ولو كان مشبهاً لها لحملناه عليها^(١) واتفقنا جميعاً وسقط الخلاف. والفرق بينهما من أن المتفق عليه أن الإعراب إنما يدخل لمعنى يعتور الكلمة بعد حصولها بينائها وحرركاتها. وأن سقوط الإعراب لا يخل بالكلمة نفسها، ألا ترى أن الاسم والفعل المستقبل إذا لم يعرب أحد منهما^(٢) لم يسقط معناه، فالإعراب يدخل ويخرج، ومعنى الاسم في الاسم قائم. وكذلك الفعل، أعرب أو لم يعرب، دلالة على الحدث^(٣) والزمان قائمة غير زائلة. وهذه الحروف، أعني الألف في التثنية، والواو في الجمع، والياء فيها، لو سقطت بطلت دلالة التثنية، وإنما كل شيء من هذا اسماً للتثنية وللجمع بأحد هذه الحروف، فحلها كحل الألف من أرطى التي بها كمل بناء الاسم.^(٤) وكحل الألف / من حبل التي بها كمل بناء الاسم ودلالة التأنيث، وما أشبه ذلك.

٣٨ / أ

وأما النون من يذهبان، وتذهبان، ويذهبون وما أشبه ذلك، فيها بان فساد ما ذهبت إليه، ووضح صحة مذهبتنا، لأنها^(٥) لاحقة بالأصل المتفق عليه، لأن سقوطها غير محل بمعنى الفعل، ولا كونه للثنتين «أو^(٦)» الجميع، لأننا نسقط النون من يذهبان فيكون الفعل للثنتين كما يكون في حال ثبوتها كذلك، وكذلك النون من يذهبون وما أشبه ذلك، لا يفسد إسقاطها معنى الجمع^(٧). ونحن

(١) في الأصل « عليه » .

(٢) في الأصل « ما لم » .

(٣) في الأصل « على الحذف » .

(٤) في الأصل « بناء الاثنين » .

(٥) في الأصل « لأنه » .

(٦) في الأصل « بالجمع » .

(٧) تجدد رأي سعيويه في هذه المسألة مفصلاً في « الكتاب » ١: ٦٥٥ .

لو أسقطنا الألف من الزيدان ، والواو من الزيدون ، والياء من التثنية والجمع ،
لتغير ذلك ، وبطل المعنى المقصود به الاثنان والجميع وفسد ، وهذا واضح بيّن .
جواب الكوفيين عن هذا الذي ذكرناه وفرق بينهما . قالوا : ليس تشبه
حروف التثنية والجمع ما شبهتموها به من الحركة في الواحد ، والنون في تثنية
الأفعال وجمعها ، وسقوط الحركة والنون من غير فساد معنى ، لأن الألف في
التثنية والجمع متضمنة - مع أنها إعراب - الدلالة على التثنية .

تمّ الكتاب والحمد لله رب العالمين .

مسألة : (١)

قال أبو القاسم (٢) : ضارب تعمل عمل يضرب . كما أن يضرب أعرب لأنه ضارعه ، فكذلك ضارب يعمل عمله لمضارعه إياه ، فحمل كل واحد منها على صاحبه . والمصدر الذي يكون بمعنى « أن فعل » أو « أن يفعل » يعمل عمل اسم الفاعل ، لأنه اسم الفعل ، وفيه دليل على الفعل . ولا يتقدم مفعوله على فاعله ، لأنه لم يقو قوة اسم الفاعل ، ولم يجيء على تقديمه وتأخيره وإظهار اسم الفاعل فيه ، فلذلك كان أنقص رتبة من اسم الفاعل .

وإن المشددة وأخواتها وما - في لغة أهل الحجاز - تعمل عمل الفعل لمضارعتها إياه ، ولا يتقدم خبرها عليه ، ولا على اسمها ، لأنها لم تتصرف تصرف الأفعال ، فلذلك لم يجر فيها كل ما جاز في الأفعال . / والصفة المشبهة باسم الفاعل ، هي ٣٨ / ب أنقص مرتبة من المصدر ، لأنها ليست توقع فعلاً سلف منك إلى غيرك ، وإنما تعمل فيما هو من سببها ، وإنما جاز أن تعمل فيه ، لأنها مشبهة باسم الفاعل ، لأنها صفة كما أنه صفة ، وأنه يثنى ويجمع ويذكر ويؤنث .

والمميز يعمل عمل الفعل ، ولا يعمل إلا في نكرة ، لأنه أنقص مرتبة من الصفة ، وإنما هو مشبه به ، لأن التثنية ، أو تقدير التثنية ، أو النون يمنعه الإضافة كما يمنع الفاعل المفعول أن يشتغل به الفعل ، وفي جملة الكلام عليه دليل ، كما في الفعل دليل على المفعول ، فنصب لمضارعه المفعول .

وقال أبو بكر بن الخياط (٣) في قول الشاعر : (٤)

(١) يورد الزجاجي فيما يلي مسائل متفرقة أحققها بالكتاب ، وكان قد أشار إليها في المقدمة .

(٢) هو عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي واضح هذا الكتاب . وتجد هذه المسألة في كتاب سيبويه ٥٥:١ وفي شرح السيرافي ٤٣٨:١ .

(٣) ترجمنا له في ص ٦٣ .

(٤) وهو الرماح بن أبرد المشهور بابن ميادة وهي أمه . وهو شاعر ذبياني من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية مات سنة ١٤٠ هـ . تجد ترجمته في الاغانى ٨٥:٢ - ١١٦ .

لَتَقْرَبَنَّ قَرَبًا مُجْلَدِيًا (١)

قال: جلديا يصلح أن يكون نعتاً للقرب، ومعناه الشديد كما قال العجاج: (٢)

فالحِمْس والحِمْس بها مُجْلَدِي (٣)

أي شديد. ويقال: جلدية اسم ناقته، فابدل من الهاء ألفاً في الوقف. أراد
جلدية على الترخيم.

مسألة:

قال أبو العباس: الفرق بين ضربت زيداً وزيد ضربته، أنك إذا قلت
ضربت زيداً، فإنما أردت أن تخبر عن نفسك، وتبت أين وقع فعلك. وإذا

(١) في الاصل: لا أنقر بل قربا جلديا. والصواب ما أثبت وهو:

لَتَقْرَبَنَّ قَرَبًا مُجْلَدِيًا ما دام فيهنّ فصيل حيّا

فقد دجا الليل فهيا هيا

رجز استشهد به سيبويه على تقديم « فيهن » على « فصيل » والراجز
يخاطب ناقته لتسيرن إلى الماء سيراً حثيثاً. والقرب القرب من الورود.
والجلدى السريع الشديد. ويجوز أن يكون اسم ناقته جلدية فرخم. والضمير
في قوله فيهن عائد على الأبل « حاشية الكتاب للشنتمري ١: ٢٧ » وذكر
السيرافي هذا الرجز في « شرح الكتاب » على أنه خطاب للنوق: شرح
الكتاب ١: ٣٢٩ وكذلك استشهد به صاحب اللسان في مادة « جلد » وعزاه
إلى ابن ميادة.

(٢) هو عبد الله بن رؤبة الراجز المشهور. جاهلي أدرك الإسلام فأسلم
ومات سنة ٩٠ هـ وهو والد رؤبة الراجز المشهور أيضاً.

(٣) رجز استشهد به صاحب اللسان في مادة « جلد » وذكره السيرافي
في شرح الكتاب ١: ٣٢٩ وهو من أرجوزة للعجاج تقع في مائة وتسعة وتسعين
بيتاً مطلعها:

بكيّت والمحترن البكيّ وإنما يأتي الصبا الصبيّ

ومنها:

الحِمْس والحِمْس بها جلديّ نقطعها وقد ونى المطيّ

تجدها في ديوان العجاج ١: ٤٨٠ وفي مجموع أشعار العرب ٢: ٦٦.

قلت زيد ضربته ، وإنما أردت أن تخبر عن زيد (١) .

مسألة :

قال أبو العباس : لا أجزى زيد ضربت ، وأجزى إن زيدا ضربت ، لأنه لا تجد بدأ من الاضمار إذا نصبت « زيدا » بإن .

مسألة :

قال أبو العباس : إذا قلت كنت أخاك ، فعناه أشبهت أخاك . وإذا قلت : لست أخاك ، فعناه باينت أخاك .

مسألة :

أصبح زيد مفيقاً . أخذ من فيقة الناقة ، كأنه استراح كما تستريح الناقة إذا حلبت .

مسألة : (٢)

قال : الاثنان اول الجمع (بدليل) (٣) قوله تعالى : (فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ) (٤) أي إن كان جمع فوق هذا ؛ فله مثل الجمع الأول ، وهو الاثنان .

مسألة :

قال أبو القاسم : إنما ذكرُ سيبويه اختلافَ الألفاظ لاختلاف المعاني ، حجة

(١) في هذا دلالة على أن بعض أعلام النحويين كانوا يرون النحو وسيلة للاداء السليم فما كان أبو العباس مثلاً ليحيز وجهين جائزين لفظاً إذا كان لكل منهما معنى خاص .

(٢) زيادة ليست في الاصل

(٣) زيادة يقتضيها السياق

(٤) في الاصل (وان كن) وهو خطأ . والآية هي « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين . فان كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك » البقرة ٠٠ الآية : ١١ .

١/٣٩ لاختلاف الإعراب للمعاني، كما خالفوا بين الألفاظ للمعاني/ نحو: ذهب وجلس^(١) كذلك أكرمني أخوك، وأكرمت أخاك. هما يختلفان. وكذلك فرق بين الفاعل والمفعول به، والمضاف والمضاف إليه في الإعراب، إذ اختلفت معانيهن.

فصل من تعاليقه :

• قال أبو (القاسم)^(٢) عبد الرحمن: (قيل للأخفش): كيف جاز أن تقول هذا يوم يخرج، فتضيف أسماء الأزمته إلى الأفعال؟ فقال: لأن الأزمته كلها يجوز أن تكون ظرفاً، فالظروف أضعف من سائر الأسماء، فعوضوها الإضافة إلى الأفعال.

• قال أبو الحسن الأخفش: جعل سببوية الإعراب ثبات النون وحذفها، جعل النون إعراباً بغير حرف إعراب، وجعل الالف علامة للفاعلين. وهذا رديء، ولكن النون عندي تدل على الرفع، وحذفها يدل على النصب والجزم^(٣).

• الشُّكْدُ^(٤) العطية ابتداءً. فإن كان مجازاة فهو شُكْمٌ^(٥).

• قال أبو عبيدة: تواضعت سور المدينة^(٦) إنما أنت لأنه جمع سورة، يقال سورة البناء للقطعة منها، والجمع سُورٌ، كما قال دُرَّةٌ ودر^(٧)، وقيل في جمع سورة

(١) قال سيبويه: « فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين نحو ذهب وجلس » الكتاب ٨:١.

(٢) الكلام في الاصل مضطرب غير واضح. وقد زدت ما بين القوسين للسياق مستعينا برأى الاخفش المذكور في ص « ١١٤ » من هذا البحث.

(٣) عد الى تفصيل رأى سيبويه في ص « ٧٣ » من هذا البحث.

(٤ ، ٥) في الاصل « الشكر » في اللفظين والصواب ما ذكرت. جاء في اللسان « قال الجوهري: الشكم - بالضم - الجزاء. فإذا كان العطاء ابتداءً فهو الشكد - بالبدال - تقول منه شكمته أى جزيته » وقال ابن قتيبة « للعطاء شكد، فان كان مكافأة قيل شكم » تأويل مشكل القرآن: ١٣.

(٦) يعنى فى بيت جرير :

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع

(٧) جاء فى مادة « سور » من اللسان قوله : « والسور : حائط المدينة،

مذكر . وقول جرير يهجو ابن جرموز :

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع

فانه أنت السور لانه بعض المدينة ، فكانه قال : تواضعت المدينة . وأما

القرآن: سُورَ ، للفرق بينها ، كما قيل : غرْفَة و غرْف و ظلمة و ظلم . وقال العجاج في جمع سور :

وربّ ذي سُرداق محجور سرت إليه من أعالي السُور^(١)

• وقال في قوله :

أستغفرُ اللهَ ذنباً لستُ محصيه ربّ العبادِ إليه القولُ والعملُ^(٢)
قال بعضهم : نصب ذنباً بفقدان الخافض . وهذا خطأ ، لانه لو كان فقدان الخافض ينصب ، كان ينصب في كل حال ، وليس نجد ذلك ، كقولك : حسبك يزيد . ثم تقول : حسبك زيد ، فلو كان فقدان الخافض ينصب ما ارتفع زيد . وإنما ينتصب لانه لما ذهب حرف الجر تعدّى الفعل فعمل فيه .

مسألة :

إن قيل . لم أعربت عند ولم تعرب لدُن ، ومعنى عند معنى لدن ، ومعنى

لدن معنى عند ؟

→
أبو عبيدة فانه زعم أنه مشتق من سورة البناء وأن السورة عرق من اعراق الحائط ويجمع سوراً وكذلك الصورة تجمع صوراً واحتج أبو عبيدة بقوله سرت اليه في أعالي السور . وروى الأزهري بسنده عن أبي الهيثم أنه رد على أبي عبيدة قوله وقال إنما تجمع فعله على فعل بسكون العين إذا سبق الجمع الواحد مثل صوفة وصوف وسورة البناء وسوره فالسور جمع سبق وحدانه في هذا الموضع . قال الله عز وجل (فضرب بينهم بسور له باب) قال والسور عند العرب حائط المدينة وهو أشرف الحيطان وشبه الله تعالى الحائط الذي حجز بين أهل النار وأهل الجنة بأشرف حائط عرفناه في الدنيا ، وهو اسم واحد لشيء واحد إلا أنا إذا أردنا أن نعرف العرق منه قلنا سورة كما نقول التمر وهو اسم جامع للجنس فإذا أردنا معرفة الواحدة من التمر قلنا ثمرة •
(١) في ديوان العجاج (١: ٣٤١) :

فرب ذي سرداق محجور جم الفواشي حاضر المحضور
أشوس عن سفارة السفير سرت اليه في أعالي السور
وانظر كتاب سيبويه (٢: ٢٣٢) ومجموع أشعار العرب ٢: ٢٧ وتفسير غريب القرآن : ٢٦ •

(٢) من شواهد الكتاب ١: ١٧ وقال سيبويه ان « ذنبا » نصبت لحذف الجار . ورواه الفراء في معاني القرآن ١: ٢٣٣ اليه الوجه والعمل . وعلق

←

الجواب : لأن عند متصرفة ، ولدن لم تتصرف ولم تفارق موضعها . ألا ترى
ب/٣٩ أنك تقول : كنت عند زيد / وتقول : عندي أن زيداً لا يخرج في غد ، كأنك
قلت في علمي وتقديري . وتقول : ما عندك في هذا الأمر ؟ وليس للذن مثل هذا
التصرف فثبتت على حالها . وفيها لغات يقال كدُن وكدَا ولدٌ . وعند لم تدخلها
حروف الخفض ، لأنه ظرف لم يتمكن في الاسمىة ، ولم يستعمل إلا ظرفاً . (١)

مسألة :

أبهم ترَياً تك ، ومن تضرب أضرب . قال أهل الكوفة : هذا نظير قولنا زيد
قائم . ترفع زيداً بقائم وقائماً زيد . فعاب البصريون ذلك عليهم وهم يقولون
أيأ تضرب أضرب ، إن أيأ منصوب بتضرب ، وتضرب مجزوم بأي . وكذلك سائر
الأسماء التي يجازى بها في قول البصريين تجزم الفعل وينصبها الفعل الذي تجزمه .
قال أهل البصرة : ليس هذا كما قلت ، وذلك أنا إذا قلنا : من تضرب
اضرب ، فإنما جزمنا الفعل بمعنى الجزاء ، لأن (مَن) تضمنت معنى إن ، ونصبها
الفعل الذي جزمته ، فذلك المعنى في الحقيقة هو الجازم ، وإنما أنكرونا عليكم
أنكم تقولون زيد قائم ، رفع زيد بقائم وقائم يزيد ، ثم تقولون إن زيداً قائم
فتنصبون زيداً والرافع له موجود . وتقولون ظننت زيداً قائماً ، فتنصبونها جميعاً ،
وكلاهما موجب لصاحبه الرفع في قولك . ونحن في الجزاء لانغيره عن فعله في قولنا
من تضرب أضرب ، لا تكون مَن إلا جازمة للفعل في هذا الموضع ما دامت
جزاءً ؛ ولم نوجد كم على هذا المثال اللفظ وعمله متغيراً كما أريناكم . هذا الذي

←

عليه بقوله : والكلام باللام كما قال الله تبارك وتعالى « واستغفري لذنبك »
و « فاستغفروا لذنوبهم » وكذلك رواه ابن جني في الخصائص ٣ : ٢٤٧
والمترضى في أماليه ١ : ٥٩١ وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن : ١٧٧ .
(١) لد ولدن ولدن : الكتاب ١ : ١٠٧ وتجد تفصيل القول فيها في لسان
العرب مادة (لدن) . وقد ورد دخول من على لدن وعند في قوله تعالى : « آتيناه
رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً » . وانظر مغنى اللبيب ١ : ١٦٨ .

انكرناه . وليس بمنكر ان يكون في الكلام عامل قد عمل فيه غيره ، فيكون عاملاً معمولاً فيه ، كقولنا : رأيت ضارباً زيداً ، ومررت برجل مكرم (اخاه)^(١) ، وإنما المحال ان يوجد العامل في شيء وعمله باطل عنه .

مسألة في التثنية : (٢)

قال : إذا قلنا الزيدان والعمران، فالألف عند سيبويه هي حرف الإعراب . قال الأخفش والمازني والمبرد : ليست بإعراب ولا حرف إعراب، ولكنها دالة على الإعراب . قال / الكوفيون : الألف هي الإعراب ، وكذلك الواو والياء في التثنية والجمع . وقال بعض البصريين : الحروف أبدال من الحركات، يعني الألف في التثنية، والياء فيها، والياء في الجمع والواو فيه . وقال الجرّمي^(٣) : الألف في الزيدان ليست الإعراب، وانقلابها هو الإعراب . وقال ثعلب : الألف في الزيدان بدل من ضمتين كأنه قال زيد وزيد، ثم جمع بينهما فقال زيدان، فالألف بدل من ضمتين، والواو في الزيدون بدل من ثلاث ضمات ، وكذلك سائر هذه الحروف على هذا القياس . فلزم من قال إن الحروف ابدال من الحركات ما لزم من قال هي الإعراب نفسه . ويلزم الجرّمي ان تكون في حال الرفع الزيدان غير معربة ، لان الألف عنده غير منقلبة، وإنما الانقلاب عنده الإعراب، فجعل الاسم في اول احوال الإعراب غيراً مُعرباً، وهذا قلب للأصول . ويلزم ثعلباً ان يقال له : كيف صارت الألف بدلاً من ضمتين ، وليست الضمة من حيز الألف ولا تجانسها ؟ وإذا كانت الواو في الزيدون بدلاً من ثلاث ضمات ، فكيف يجمع إذا جمع مائة نفس ؟ هل تصير عنده بدلاً من مائة ضمة ؟ وكذلك إلى ما زاد .

(١) زدناها ليتم الشاهد في المثال المذكور .

(٢) عد الى ص «١٣٠» من هذا البحث حيث تجد تفصيل القول في هذه

المسألة .

(٣) هو أبو عمر صالح بن اسحاق ، نحوي فقيه ، أخذ عن الاخفش

ويونس مات سنة ٢٢٥ هـ . ترجمته في أخبار النحويين البصريين : ٧٢

وطبقات الزبيدي : ٧٦ وبغية الوعاة : ٢٦٨ ، وانباء الرواة : ٨٠ : ٢ .

مسألة :

قال سيبويه : إذا سمّينا رجلاً بأحر لم نصرفه في النكرة ، وإن سمّيناه
بيشكر صرفناه . واحتج بأن أحر يكون نعتاً وهو اسم ، قال : فالذي يمنعه من
الصرف موجود فيه إذا سمّي به . ويشكر إنما ينعت به ، وهو فعل ، فإذا سمّي به
فقد زال أن يكون فعلاً . قال أصحابه : هذا محال . إذا سمّينا بأحر صرفناه
أيضاً كما نصرّف يشكر ، لأنه إذا سمّي به فقد خرج أن يكون نعتاً ، كما أن يشكر
إذا سمّي به ، فقد خرج أن يكون فعلاً .

★★

تم الكتاب بعون الله وحده ، والحمد لله وحده ، وصلواته على خير خلقه محمد
وآله وصحبه وسلّم .

وفرغ من نسخه في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة
وستائة .

الفهارس العامة

١ - فهرس الأعلام

٢ - فهرس الشواهد

٣ - فهرس المراجع

٤ - محتوى الكتاب

فهرس الأعلام (*)

ث

ثعلب = أحمد بن يحيى .

ج

الجرمي = صالح بن إسحاق .

أبو جعفر = محمد بن رستم .

جندل بن المثنى ١١٧

ح

الحامض = سليمان بن أحمد .

أبو الحسن = سعيد بن مسعدة .

أبو الحسن = علي بن حمزه .

أبو الحسن = علي بن سليمان .

أبو الحسن = محمد بن أحمد .

حسان بن ثابت ١٢٢ - ١٢٣

حواء ٦٨

خ

الخليل بن أحمد ٥٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٣٠

ابن الخياط = محمد بن أحمد

د

الدؤلي = ظالم بن عمرو

ر

الرماح بن أبرد (١٣٥) - ١٣٩

آدم ٦٨

إبراهيم بن السري (٤٠) - ٥٨ ، ٥٦ ،

٧٨ ، ٩٥

أحمد بن الحسين (٧٩) - ٨١ ، ١٢٢

أحمد بن عبد الله (٢٢) - ٣٥

أحمد بن يحيى (١٠١) - ١٤١

الأخفش = سعيد بن مسعدة .

الأخفش = علي بن سليمان .

أرسطاطاليس ٤٧

أبو إسحاق = إبراهيم بن السري

أبو الأسود = ظالم بن عمرو .

الأصمعي = عبد الملك بن قريب .

أفلاطون ٤٧

ابن الأنباري = محمد بن القاسم

ب

بكر بن عثمان (٧٩) - ٩٤ ، ١٣٠ ، ١٤١

أبو بكر = أحمد بن الحسين

أبو بكر = الصديق .

أبو بكر = محمد بن أحمد .

أبو بكر = محمد بن السري .

أبو بكر = محمد بن القاسم .

(*) أشرت الى مكان الترجمة بوضع رقم الصفحة بين قوسين .

- ع
- ابن عباس ٩٦
 أبو العباس = أحمد بن عبدالله .
 أبو العباس = أحمد بن يحيى .
 أبو العباس = محمد بن يزيد .
 عبد الرحمن بن إسحاق (١) - ١٣٥، ١٣٥،
 ١٣٧، ١٣٨
- عبد العزيز بن سحنون (٢٢) - ٣٥
 عبد الله بن رؤبة . . . (١٣٦)
 أبو عبد الله = هشام بن معاوية .
 أبو عبيدة ١٣٨
 أبو عثمان = بكر بن عثمان
 العجاج = عبد الله بن رؤبة
 علي بن أبي طالب ٤٢، ٨٩، ٩٦
 علي بن حمزة ٤٩ - (١٠١)
 علي بن سليمان (٧٩)
 عمر بن الخطاب ٩٦
 أبو عمر - صالح بن إسحاق .
 أبو عمرو بن العلاء ٩١
- غ
- الغماري - عبد العزيز بن سحنون .
- ف
- الفراء - يحيى بن زياد
 أبو الفضل - زيبيل .
- ق
- أبو القاسم - عبد الرحمن بن إسحاق .
- ز
- زيبيل ٧٩
 الزجاج = إبراهيم بن السري .
 الزجاجي = عبد الرحمن بن إسحاق .
 أبو زكريا = يحيى بن زياد .
 زياد بن أبيه (٨٩)
- س
- ابن السراج = محمد بن السري .
 سعيد بن مسعدة (٤٩) - ١٠٩، ١١٠،
 ١١٤، ١٣٠، ١٣٨، ١٤١
 سليمان بن أحمد (٧٩)
 سيويه ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٩،
 ٥٣، ٥٦، ٧٢، ٧٧، ٨١، ٨٢،
 ٩٧، ٩٨، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦،
 ١٠٧، ١٠٨، ١١٢، ١٣٠،
 ١٣١، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٢
- ش
- ابن شقير = أحمد بن الحسين
- ص
- صالح بن إسحاق (١٤١)
 الصديق ٩٦
 ابن الصعق = يزيد بن عمرو .
- ط
- الطبري = محمد بن رستم .
- ظ
- ظالم بن عمرو (٨٩)

- قطرب = محمد بن المستنير
 قيس بن زهير ١٠٤
- ك
 الكسائي = علي بن حمزة .
 ابن كيسان = محمد بن أحمد .
- م
 المازني = بكر بن عثمان .
 المبرد = محمد بن يزيد .
- محمد بن أحمد (ابن الخياط) (٦٣)
 ١٣٥ ، ١٣٢ ، ٧٩ ، ٧٦
- محمد بن أحمد (ابن كيسان) (٥٠)
 ١٣٢ ، ٧٩
- محمد بن رستم (٧٨)
 محمد بن السري (٥٠) - ٧٩ ، ٥٩
 محمد بن القاسم (٦٠) - ٨٠ ، ٧٩ ، ٦١
- ١٣٢
- محمد بن المستنير (٧٠) - ٧٧
 أبو محمد = عبد الملك بن مالك
 محمد بن يزيد (٤٠) - ٥٢ ، ٥١ ، ٤٤
 ، ١٣٠ ، ٩٥ ، ٧٦
 ١٣٧ ، ١٣٦
 أبو موسى = سليمان بن أحمد .
 ابن ميادة = الرماح بن أبرد .
- ن
 النابغة الذبياني ١١٤
 نصيب ٦٢
 هشام بن معاوية (١٠١)
- ي
 يحيى بن زياد ٥٠ - (٥٦) - ٦٣ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
 ١٠١ ، ٩٧ ، ٨٠
 يزيد بن عمرو ١١٢

فهرس الشواهد

(أ) القرآن (*)

رقمها	صفحة	الآية	رقمها	السورة
١١	١٣٧	فإن كن نساء فوق اثنتين	٢	البقرة
٢٢٨	١٢٣	ثلاثة قروء	٢	»
٢٧٥	١١٨	فمن جاءه موعظة من ربه	٢	»
١٥٤	٧٠	إن الأمر كله لله	٣	آل عمران
٩٤	١١٧	لقد تقطع بينكم	٦	الأنعام
٦٩	١١٩	وخضتم كالذي خاضوا	٩	التوبة
٢	٩٥	إنا أنزلناه قرآناً عربياً	١٢	يوسف
٣٧	٩٥	وكذلك أنزلناه حكماً عربياً	١٣	الرعد
٣٩	٥٧	كسراب ببيعة يحسبه الظمان ماء . . .	٢٤	النور
١٩٥	٩٥	بلسان عربي مبين	٢٦	الشعراء
٤٧	١٢٥	ولأنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار	٣٨	ص
٢٨	٩٥	قرآناً عربياً غير ذي عوج	٣٩	الزمر

(ب) الحديث

٩١

الثيب تعرب عن نفسها

٩٦

رحم الله امرأة أصلح من لسانه

(*) بحسب ترتيب السور .

(ج) الشعر

- ٦٢ وقد عاد عذب الماء بجرأ فزادني على ظمئي أن أبحر المشرب العذب
- ١٠٤ ألم يأتيك والانباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد
- ١٣٩ ورب ذي سرادق محجور سرت إليه من أعالي السور
- ١١٧ وكحل العينين بالعوار
- ١١٤ على حين عاتبت المشيب على الصبي وقلت ألما تصح والشيب وازع
- ١٣٩ أستغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد إليه القول والعمل
- ١١٦-١١٢ ألا أبلغ لديك بني تميم بآية ما يحبون الطعاما
- ١١٧-١١٣ بآية يقدمون الخيل زوراً كأن على سنانكها مداما
- ١٣٦ الخمس والخمس بها جلدي
- ١٣٦ لتقرين قرباً جلديا

المراجع

أ - المخطوطة

ارتشاف الضرب من لسان العرب . لأبي حيّان الأندلسي . دار الكتب المصرية ١١٠٦ نحو .

إشارة التعيين إلى تراجم النحاة واللغويين . لأبي المحاسن عبد الباقي الشافعي اليمني . دار الكتب المصرية ١٦١٢ تاريخ .

إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل . للبطلبوسي . دار الكتب المصرية ١١١٠ نحو .

الإكمال في رفع الارياب عن المختلف والمؤتلف من الأسماء والكنى والأنساب . لابن ماكولا . دار الكتب المصرية ٨ مصطلح الحديث .

الانتصار أو نقض ابن ولاد على المبرد في رده على سيبويه . دار الكتب المصرية ٧٠٥ نحو تيمور .

تاريخ مدينة دمشق . للحافظ بن عساكر - الجزء التاسع - دار الكتب الظاهرية بدمشق ٨ تاريخ .

التذييل والتكميل في شرح التسهيل . لأبي حيّان الأندلسي . دار الكتب المصرية ٦٢ نحو .

الحدود النحوية . لشهاب الدين أحمد الأبيدي . دار الكتب المصرية ١٢٨٦ نحو .

شرح الجمل . لابن الضائع . دار الكتب المصرية ١٩ نحو .

شرح الجمل . لابن العريف ، دار الكتب المصرية ٤٦٤ نحو .

شرح خطبة أدب الكاتب للزجاجي . دار الكتب المصرية ٣٩ ش أدب

(الإيضاح ١١)

شرح كتاب سيويوه . للسيرافي . نسخة مصورة في مكتبة جامعة القاهرة
٢٦١٨٢ - ٢٦١٨١ .

عيون التواريخ . لابن شاكر الكتبي . دار الكتب المصرية ١٤٩٧ تاريخ
اللُّبَاب في علل البناء والإعراب للعكبري . دار الكتب المصرية ٤٢٣ نحو .
مختصر الزاهر في معاني الكلام الذي يستعمله الناس . للزجاجي . دار الكتب
المصرية ٥٥٧ لغة .

وشي الحلل في شرح أبيات الجمل . للفهري ، دار الكتب المصرية ٣ ش نحو .

ب - المطبوعة

إحياء النحو للأستاذ إبراهيم مصطفى . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٣٧ .

أخبار النحويين البصريين . للسيرافي . تحقيق كرنكو . المطبعة الكاثوليكية
سنة ١٩٣٦ .

أسرار العربية . لابن الأنباري . ليدن

الأشباه والنظائر . للسيوطي . حيدر آباد

الإغراب في جدل الإعراب . لأبي البركات الأنباري . طبع مع « لمع الأدلّة »
باسم « رسالتان لابن الأنباري » في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٥٧ م بتحقيق
الأستاذ سعيد الأفغاني .

الاقتراح في أصول النحو . للسيوطي . حيدر آباد

الأمالي . لأبي القاسم الزجاجي . تحقيق أحمد بن الأمين الشنقيطي . مصر

سنة ١٣٢٤ هـ .

إنباه الرواة على أنباه النحاة . للقفطي . تحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم
دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠ م .

الإنصاف في مسائل الخلاف . لابن الأنباري . تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين
عبد الحميد . مطبعة الاستقامة بمصر سنة ١٣٦٤ هـ .
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . للسيوطي . مطبعة السعادة سنة
١٣٢٦ هـ .

تاج العروس . المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ
تاريخ الأدب العربي لبروكلمان . ليدن سنة ١٩٣٧ م
التطور النحوي للغة العربية ، لبرجستراسر . مطبعة السماح سنة ١٩٢٩ م
الجمال . لأبي القاسم الزجاجي . تحقيق الشيخ ابن أبي شذب . الجزائر سنة
١٩٢٦ م .

الحدود النحوية . للفاكهي . كلكتا .
الخصائص . لابن جنى . تحقيق الأستاذ محمد النجار . دار الكتب المصرية سنة
١٩٥٢ م .

الرد على النحاة . لابن مضاء القرطبي . تحقيق الدكتور شوقي ضيف . دار
الفكر العربي سنة ١٩٤٧ م .
سر صناعة الإعراب . لابن جنى . تحقيق الأستاذ مصطفى السقا وزملائه
القاهرة ١٩٥٤ م .

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي . مصر سنة ١٣٥٠ هـ .
شرح الألفية لابن الناظم بدر الدين محمد بن محمد بن مالك . النجف سنة
١٣٤٢ هـ .

شرح المفصل لابن يعيش . المطبعة المنيرية .
الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لابن فارس . المؤيد سنة
١٣٢٨ هـ .

- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري . تحقيق برجستراسر . مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٩٣٣ م .
- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي . تحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل ابراهيم . مكتبة الخانجي ١٩٥٤ م .
- الفهرست لابن النديم . تحقيق فوجل . ليزغ سنة ١٨٧١ م .
- القياس في اللغة العربية للأستاذ محمد الخضر حسين . المطبعة السلفية سنة ١٣٥٣ هـ .
- الكتاب لسيويه . المطبعة الأميرية سنة ١٣١٧ هـ .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . لحاجي خليفة . الاستانة سنة ١٩٤٧ م .
- لسان العرب لابن منظور . المطبعة الأميرية سنة ١٢٩٩ هـ .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان . لليافعي . حيدر آباد سنة ١٣٣٧ هـ .
- المزهر . للسيوطي . بولاق سنة ١٢٨٢ هـ .
- معجم الأدباء لياقوت . تحقيق فريد الرفاعي . مطبعة الحلبي سنة ١٣٥٥ هـ .
- مغني اللبيب لابن هشام . دمشق ١٩٦٩ م .
- المفصل للزمخشري . مطبعة التقدم سنة ١٣٥٣ هـ .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي . دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٩ م .
- تزهة الألبا في طبقات الأدباء لابن الأنباري . طبع جمعية إحياء مآثر علماء العرب بمصر سنة ١٢٩٤ هـ .
- سمع المواعع شرح جمع الجوامع للسيوطي . مطبعة السعادة سنة ١٣٢٧ هـ .
- وفيات الأعيان لابن خلكان . بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .

محتوى الكتاب

صفحة

كلمة الناشر

أ

مقدمة للأستاذ الدكتور شوقي ضيف

تمهيد

١

حياة الزجاجة

٣

مؤلفات الزجاجة

٩

التعريف بكتاب الإيضاح

٩

أقسام الكتاب ومقدمته

١٣

أسلوب كتاب الإيضاح

١٤

غاية الكتاب وقيمه

١٨

ملاحظات على كتاب الإيضاح

٢٠

وصف نسخة الكتاب المحققة

٢٤

منهج تحقيق الكتاب

٢٧

نماذج مصورة

٣٣

كتاب الإيضاح في علل النحو

موضوع الكتاب . تسميته . أقسامه .

٤١ الباب الاول : أقسام الكلام

رأي سيبويه في أنها اسم وفعل وحرف . اعتراض عليه لفقدان الدليل . التدليل على صحة قوله . شرح السبب في تسمية الأسماء والأفعال والحروف . كل كلام ، عربياً كان أو غير عربي ، هو اسم وفعل وحرف .

٤٦ الباب الثاني : اختلاف النحويين في تحديد الاسم والفعل والحرف . .

ما هو الحدّ . الاختلاف على الحدود بين الفلاسفة . اختلاف النحاة على الحدود راجع إلى اختلاف أغراضهم منها .

٤٨ الباب الثالث : معرفة حدّ الاسم والفعل والحرف

حدّ الاسم في العربية . تأثر بعض النحاة بالمنطق وتخطتتهم . حدّ آخر للاسم . موقف سيبويه . رأي الأخفش وبيان فساده . رأي ابن السراج وبيان فساده . ما رواه ابن كيسان وبيان فساده . رأي المبرد والمأخذ عليه . حجة المبرد . حجة الزجاجي لنصرة المبرد . سؤال على المبرد والرد عليه .

حدّ الفعل عند النحاة . حدّ آخر . أضرب الحرف . حدّ كل منها . حروف المعجم حروف الأسماء والأفعال . حروف المعاني . حدود أخرى للحرف .

٥٦ الباب الرابع : الفعل والمصدر وأيهما مأخوذ من صاحبه .

رأي سيبويه والبصريين . رأي الفراء والكوفيين . خمس حجج للبصريين . دليلان للكوفيين وبيان فسادهما . ذكر مسألة جرت بين الزجاجي وابن الأنباري .

صفحة

٦٤

الباب الخامس : علل النحو .

هي مستنبطة وليست موجبة . أضربها الثلاثة : التعليمية والقياسية والنظرية والجدلية . الخليل وعلل النحو .

٦٧

الباب السادس : الإعراب والكلام أيهما أسبق .

الكلام سابق الإعراب . الإعراب يدخل لمعان تعتور الكلام . العرب نظقت بالكلام معرباً . وقد يكون الإعراب متأخراً عن الكلام فعلاً .

٦٩

الباب السابع : الإعراب لم يدخل في الكلام .

حركات الإعراب تنبئ عن اختلاف المعاني . قطرب يرفض ذلك ويبين فساده . رأي قطرب أن الحركات والاسكان لسهولة النطق واعتدال الكلام . اتساعهم في الحركات . الرد على قطرب .

٧٢

الباب الثامن : الإعراب أحركة هو أم حرف .

رأي البصريين أنه حركة . الكوفيون يرونه حركة أو حرفاً أو سكوناً أو حذفاً . استثناء سيويوه والبصريين للأفعال الخمسة . حججهم في ذلك . لماذا لم تكن الألف والواو والياء في الأفعال الخمسة هي حروف الإعراب . لم وقع الفاعل قبل علامة الإعراب في بعض الأفعال .

٧٦

الباب التاسع : الإعراب لم وقع آخر الاسم دون أوله ووسطه .

رأي ابن الخياط . رأي المبرد . رأي آخر .

٧٧

الباب العاشر : المستحق للإعراب من الأسماء والأفعال والحروف .

رأي الخليل وسيويوه والبصريين أن الإعراب للأسماء والبناء للأفعال والحروف . حججهم على ذلك . رأي الكوفيين أن الإعراب للأسماء والأفعال والبناء للحروف . مصادر الزجاجي . شيوخه . من جمع بين المذهبين . حجج الكوفيين . الرد عليها .

صفحة

الباب الحادي عشر : الاسم والفعل والحرف ، أيها أسبق في المرتبة ٨٣
والتقدم .

إجماعهم على أن الأسماء قبل الأفعال والحروف . لمَ لم تكن الحروف
قبل الأسماء وهي عوامل فيها ؟ سبق الحروف لعملها .

الباب الثاني عشر : الأفعال ، أيها أسبق في التقدم . ٨٥
رأي الزجاجي أن المستقبل هو الأول ثم يليه الحال فالماضي .

الباب الثالث عشر : فعل الحال وحقيقته . ٨٦
هل يخرج عن كونه ماضياً أو مستقبلاً . تعريفه . لمَ لم يكن له لفظ
ينفرد به ؟

الباب الرابع عشر : العلة في تسمية النحو . ٨٩
محاولة أبي الأسود . النحو لغة واصطلاحاً .

الباب الخامس عشر : الفرق بين النحو واللغة والإعراب والغريب . ٩١
الإعراب هو البيان . اللغة غير الإعراب . الغريب ما يفهمه
الخاصة . تفاضل العلماء فيما بينهم باللغة .

الباب السادس عشر : معنى الرفع والنصب والجر . ٩٣
الإعراب حركة . الضم من ضم الشفتين . النصب من فتح الفم .
الجرّ من جره ما قبله ليوصله إلى ما بعده . الجرّ عند الكوفيين الخفض .
الخفض من خفض الحنك . الجزم قطع الحركة . رأي المازني في الجزم .
رد الزجاجي عليه .

الباب السابع عشر : الفائدة في تعلم النحو . ٩٥
الوصول إلى كلام العرب على حقيقته . إقامة المعاني . فضل العربية
في القرآن . قول المبرد . قول ابن عباس . قول عمر وأبي بكر . فهم

صفحة

- الشعر . فهم الكلام غير المعرّب لا يدل على إمكان ترك الإعراب .
- ٩٧ الباب الثامن عشر : علة دخول التنوين في الكلام ووجوهه .
معاني التنوين . رأي سيويه . رأي الفراء . رأي بعض الكوفيين .
- ١٠٠ الباب التاسع عشر : علة ثقل الفعل وخفة الاسم
رأي البصريين وحججهم . آراء أخرى للكسائي والفراء وهشام وثعلب
- ١٠٢ الباب العشرون : علة امتناع الأسماء من الجزم
رأي سيويه . ما يرد عليه من الاسئلة . أجوبته عن ذلك . رأي
الفراء . رأي بعض الكوفيين .
- ١٠٧ الباب الواحد والعشرون : علة امتناع الأفعال من الخفض
رأي سيويه . شرح هذا الرأي . لم لا يضاف إلى الفعل . الجواب
عن ذلك . رأي الأخفش . أسئلة عن ذلك وذكر أجوبتها . إضافة آية
إلى الفعل . بيان فسادها . إضافة ذي إلى الفعل . بيان عدم جواز الإضافة
إلى الأفعال . عدم تعريف الأفعال وعدم إضافتها نفسها .
- ١٢١ الباب الثاني والعشرون : التثنية والجمع
تعريف التثنية . ليس الجمع كالتثنية . جموع القلة . لم كان رفع
الاثنين بالألف . لم لم يرفعا بالواو . لم اشترك النصب مع الخفض من
دون الرفع ولم يُفرد بسمة خاصة به . لم لم يكن الرفع بالواو والنصب
بالألف والجر بالياء . لم لم يكن رفع الاثنين ونصبهما بالألف ونصب
الجميع بالياء وضم الخفض إلى أحدهما .
- الباب الثالث والعشرون : الألف والواو والياء في التثنية والجمع أهي
- ١٣٠ إعراب أم حروف إعراب
رأي الكوفيين أنها هي الإعراب نفسه . رأي المازني والمبرد

صفحة

والأخفش أنها دليل الإعراب . رأي الخليل وسيبويه أنها حروف الإعراب . سؤال الكوفيين . جوابهم بغير ألفاظهم . بيان الإعراب في رأي الكوفيين . رأي البصريين .

مسائل مختلفة :

مسألة : لم يعمل اسم الفاعل عمل الفعل . لم يعمل المصدر عمل اسم الفاعل . لم عملت إن وما الحجازية عمل الفعل ولم يجز فيها كل ما جاز فيه . عمل الصفة المشبهة . عمل المميز

١٣٥

مسألة : رأي المبرد في الفرق بين معنى ضربت زيدا ، ومعنى

١٣٦

زيد ضربته

مسألة : لم أجاز المبرد إن زيدا ضربت ، ولم يجز زيد ضربت

١٣٧

مسألة : رأي المبرد في معنى كنت أخاك ولست أخاك

١٣٧

مسألة : بيان معنى مُفِيق

١٣٧

مسألة : الاثنان أول الجمع

١٣٧

مسألة : اختلاف الإعراب حسب اختلاف المعاني

١٣٧

فصل من تعاليق الزجاجي : تعليق على إضافة أسماء الزمان إلى الأفعال . تعليق الأخفش على رأي سيبويه في إعراب الأفعال الخمسة .

١٣٨

تعليق لغوي في الفرق بين الشكد والشكم وفي تأنيث سور

١٣٩

مسألة : إعراب عند وبناء لدن

صفحة

١٤٠

مسألة : أيهم تر يا تك

١٤١

مسألة : في التثنية

١٤٢

مسألة : رأي لسيبويه في الممنوع من الصرف

١٤٤

فهرس الأعلام

١٤٧

فهرس الشواهد

١٤٩

المراجع

١٥٤

محتوى الكتاب

تمّ الكتاب والحمد لله وحده

للمحقق

- ١ - الزجّاجي ، حياته وآثاره ومذهبه النحوي دمشق ١٩٦٠
- ٢ - الرمّاني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيويه دمشق ١٩٦٣
- ٣ - مغني اللبيب لابن هشام (تحقيق بالاشتراك)
الطبعة الأولى ، دمشق ١٩٦٥
الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٦٩
- ٤ - النحو العربي .
بحث في نشأة النحو وتاريخ العلة النحوية .
الطبعة الأولى ، دمشق ١٩٦٥
الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧١
- ٥ - النصوص اللغوية .
نصوص مختارة من كتابي الخصائص لابن جني
والمزهر للسيوطي
بيروت ١٩٦٧
- ٦ - الموجز في تاريخ البلاغة
بيروت ١٩٦٨
- ٧ - كتاب اللامات الزجّاجي (تحقيق) جمع اللغة العربية بدمشق دمشق ١٩٦٩
- ٨ - مجتمع الهمذاني
بحث يحلّل المقامات ويستشف من ورائها صورة
المجتمع الذي انشئت فيه
دمشق ١٩٧٠
- ٩ - نحو وعي لغوي
دمشق ١٩٧٠

من منشورات «دارالنفائس»

تاريخ الدولة العلية العثمانية

تأليف . محمد فريد بك المحامي

تحقيق : الدكتور إحسان حقي

موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين

تأليف : الشيخ جمال الدين القاسمي

تحقيق : عاصم بهجة البيطار

مختصر سيرة ابن هشام

إعداد : محمد عفيف الزعبي

مراجعة : عبد الحميد الأحذب

هوامش على كتاب نقد الفكر الديني

الشيخ محمد حسن آل ياسين

الدين في مواجهة العلم

تأليف : وحيد الدين خان

لا نزاع بين العلم والدين

تأليف : الدكتور عبد الحلیم عويس

من منشورات «دارالنفائس»

(إعداد وتحقيق أحمد راتب عرموش)

موطأ الإمام مالك

رواية يحيى بن يحيى الليثي

مسند عبد الله بن عمر

تخريج أبي أمية الطرسوسي

الفتنة ووقعة الجمل

رواية سيف بن عمر الضبي الأسدي

الفوائد

ابن قيم الجوزية

الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف

ولي الله الدهلوي

الحج والعمرة والأدعية المأثورة

* * *